سلسلة بحوث منهجية في الدراسات القرآنية

8

منهج ابن بدران في تفسيره

جواهر الأفكار ومعدن الأسرار

تأليف

أ.د. عادل بن علي الشدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن. جامعة الملك سعود

مدار الوطن للنشر

www.madaralwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

مدار الوطن للنشر

الدائري الشرقي - مخرج ١٥

الرياض - الملز - ٢كم غرب أسواق المجد

ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت : www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى خير البشر، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فأثناء قراءاتي في كتاب: (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد) في عام ١٤١٧هـ وقفت على نصٍ يذكر فيه الشيخ: عبد القادر بن بدران كتابًا له في التفسير هو: جواهر الأفكار، وقد حاولت حينها الحصول على نسخته المخطوطة، وبعد جهد علمت أن النسخة الخطية الوحيدة بيد الأستاذ: زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي في بيروت، وأنه على وشك طباعتها، وانتظرت طبعها بفارغ الصبر حتى صدر الكتاب في عام ١٤٢٠هـ.

ونظرًا لاهتمامي الخاص بتفاسير الحنابلة المخطوط منها والمطبوع، فقد سارعت إلى قراءة هذا التفسير متوقعًا ظهور نَفَس الحنابلة التفسيري فيه، ولكنّي سرعان ما اكتشفت أن هذا الكتاب ليس تفسيرًا فقهيًا يركز على آيات الأحكام، وأنني أمام مفسِّر متميِّز لم تبرز جهوده في هذا المجال أمام الباحثين، وأن شهرته كفقيه حنبلي بارز قد طغت على هذا الجانب المهم من شخصيته. عند ذلك قوي عزمي على دراسة منهجه في تفسيره. وعلى الرغم من أن ما طُبع من تفسيره لا يتجاوز الآية رقم ١٨٩ من سورة البقرة إلا أنه ـ على أية حال ـ يُعطي صورة واضحة عن منهجه في التفسير، والقواعد التي يسير عليها، والمقاصد التي يهدف لها؛ ولذلك فقد حرصت على تسمية هذا البحث بـ: (منهج ابن بدران في تفسيره). وليس: (منهج ابن بدران في التفسير).

وقد اجتهدت في تتبع معالم منهجه ومحاولة إبراز جهوده في التفسير، ومدى مساهمته في خدمة كتاب الله وتسخيره ما حازه من العلوم في هذا السبيل وذلك من خلال خطة البحث التالية:

منهج ابن بدران في تفسيره

جواهر الأفكار ومعادن الأسرار

ويشتمل على مقدمة وبابين وخاتمة:

المقدمة.

بين يدي البحث.

الباب الأوّل: التفسير بالمأثور عند ابن بدران

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأوّل: تفسير القرآن بالقرآن

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

- تمهيد.
- المبحث الأول: تفسير الآية بذكر نظائرها.
- المبحث الثاني: بيان المجمل بذكر ما يدل عليه من الآيات.
- المبحث الثالث: تخصيص العام بذكر ما يدل عليه من الآيات.
- المبحث الرابع: توضيح معاني مفردات القرآن من القرآن.

الفصل الثاني: القراءات في تفسير ابن بدران

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

- تمهيد.
- المبحث الأول: الإشارة لاختلاف المعنى باختلاف القراءة.
- المبحث الثاني: التوجيه الإعرابي للقراءة وأثره في المعنى.
- المبحث الثالث: الترجيح بين القراءات.

الفصل الثالث: السنة النبوية في تفسير ابن بدران

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

- تمهيد.
- المبحث الأوّل: تفسير القرآن بالسنة
- المبحث الثاني: الاستشهاد بالحديث على توضيح معنى الآية أو تأكيده.
- المبحث الثالث: مميزات منهج ابن بدران في العناية بالسنة.
- المبحث الرابع: مآخذ على ابن بدران في الحديث.

الفصل الرابع: أسباب النزول في تفسير ابن بدران

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

- تمهيد.
- المبحث الأول: الاعتماد على الصحيح من الروايات وترك ما سواها.

- المبحث الثاني: قبول الروايات التي لا شطط فيها ولا تناقض.
- المبحث الثالث: الترجيح عند تعدد الروايات في أسباب النزول.
- المبحث الرابع: تطبيق قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الفصل الخامس: موقف ابن بدران من الإسرائيليات في التفسير

وفيه تمهيد ومبحثان:

- تمهيد.
- المبحث الأول: رده بعض الأخبار لعدم ثبوتها.
- المبحث الثاني: استخدامه المنهج العقلي والتاريخي في رد الإسرائيليات.

الفصل السادس: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

- تمهيد.
- المبحث الأول: ذكر اختلاف الأقوال مع الترجيح بينها غالبًا.
- المبحث الثاني: ذكر اختلاف الأقوال مع اختيار قول آخر.
- المبحث الثالث: ذكر اختلاف الأقوال دون ترجيح.
- المبحث الرابع:رد الروايات المكذوبة على الصحابة المخالفة للعقل.
- المبحث الخامس: رد بعض أقوال التابعين في التفسير.

الباب الثاني: التفسير بالرأي عند ابن بدران

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأوّل: اللغة في تفسير ابن بدران

وفيه تمهيد وتسعة مباحث:

- تمهيد.
- المبحث الأول: بيانه للمفردات القرآنية.
- المبحث الثاني: تفسيره للآية وفقًا للمعاني اللغوية.
- المبحث الثالث: الرجوع إلى أقوال أئمة اللغة.
- المبحث الرابع: عنايته بالفروق اللغوية.
- المبحث الخامس: عنايته بالأصول اللغويّة والاشتقاق.
- المبحث السادس: عنايته بالإعراب.
- المبحث السابع: عنايته بالبلاغة.
- المبحث الثامن: عنايته بالشعر.
- المبحث التاسع: عنايته بالمناسبات.

الفصل الثاني: مسائل الفقه في تفسير ابن بدران

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

- تمهيد.

- المبحث الأول: حملة ابن بدران على المقلدة.
- المبحث الثاني: ترجيحه بين أقوال الفقهاء.
- المبحث الثالث: اهتمامه بأقوال الفقهاء.
- المبحث الرابع: عنايته بأصول الفقه.

الفصل الثالث: مسائل العقيدة في تفسير ابن بدران

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

- تمهيد.
- المبحث الأول: نصرته مذهب السلف في الإيمان.
- المبحث الثاني: كلامه في توحيد الألوهية.
- المبحث الثالث: كلامه في الأسماء والصفات.
- المبحث الرابع: مآخذ عقدية على تفسيره.
- المبحث الخامس: علمه بعقائد أهل الضلال في عصره.

الفصل الرابع: التفسير العلمي عند ابن بدران

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأوّل: موقف ابن بدران من التفسير العلمي.
- المبحث الثاني: مناقشاته لعلماء الهيئة والماديين.
- المبحث الثالث: عنايته بعلم الاجتماع والعمران.

الخاتمة: وتشمل أهم نتائج البحث.

ولكون ابن بدران عالمًا موسوعيًا متمكنًا من كثير من العلوم النقلية والعقلية، فقد أحوجني ذلك إلى بذل مجهود إضافي في تتبع معالم منهجه من خلال العلوم التي استخدمها في تفسيره، حيث لم يركز في ذلك على فن محدد، وهو أمر يدركه من كابده، ولا يخفى على المختصين بالتفسير وأصوله.

والله أسأل العون والسداد وحسن القصد وصواب العمل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

بين يدي البحث

قبل الشروع في دراسة منهج الشيخ: عبد القادر بن بدران يحسن التقديم لذلك بثلاث مقدمات:

أولاها: لمحة موجزة عن ابن بدران[1]:

هو الشيخ: عبد القادر بن أحمد بن بدران الدمشقي الحنبلي المولود في (دوما) سنة ١٢٨٠هـ والمتوفى في دمشق سنة ١٣٤٦هـ.

من مشايخه: الشيخ: عدنان بن محمد عدس، والشيخ: مصطفى بن عبدالرحيم بن بدران، والشيخ: محمد بن عثمان الحنبلي، والشيخ: سليم العطار، والشيخ: عمر العطار، والشيخ: محمد الخشني الدمشقي.

من تلاميذه: خير الدين الزركلي، وعبد الحكيم القازاني، وفخري البارودي، وعبد الحكيم الجزائري، ومحمد سعيد الجندي، ومحمد أحمد دهمان.

اشتهر بدقة الفهم وسعة الاطلاع، التزم مذهب السلف الصالح من أهل الحديث في أمور العقائد، وأما في الفروع الفقهية فقد كان شافعيًا أول الأمر ثم تحوَّل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل حتى صار من أعلام المذهب البارزين في عصره وما بعده.

---

(١) انظر في ترجمته: علامة الشام عبد القادر بن بدران، وأعلام الأدب والفن (١/ ٢٢٤) وتاريخ معرة النعمان (١/ ٧) ومنتخبات التواريخ لدمشق (٢/ ٧٦٣) والأعلام (٤/ ٣٧) وأعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر (٣٤٥).

خلَّف تراثًا علميًا زاخرًا حيث زادت مؤلفاته عن خمسة وأربعين كتابًا ورسالة في علوم العقيدة والتفسير والحديث والفقه وأصوله واللغة والأدب والتاريخ والرحلات والتراجم والوعظ والإرشاد.

من أشهر مؤلفاته: تعليق على لمعة الاعتقاد لابن قدامة، وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار في تفسير كلام العزيز الجبار، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، وحاشية على أخصر المختصرات للبلباني، وإيضاح المعالم من شرح العلامة ابن الناظم، وتاريخ دوما، والروض البسام في تراجم المفتين بالشام.

والثانية: تعريف مختصر بتفسير ابن بدران:

طبع تفسير ابن بدران الذي أسماه: (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في تفسير كلام العزيز الجبار) في عام ١٤٢٠هـ بعناية الأستاذ: زهير الشاويش على نسخة خطية وحيدة، كتبها المؤلف بيده ميّز فيها الآيات بحبر أحمر، ومعدل الأسطر في كل صفحة ثمانية عشر سطرًا بخط دقيق تغيّر كثيرًا واضطرب في آخر المخطوط بسبب إصابة المؤلف بالشلل في يده اليمنى في عام ١٣٤٢هـ واضطراره للكتابة بيده اليسرى، وللتفسير مقدمة مفقودة أشار إليها المؤلف عند تفسيره لأول آية من سورة البقرة، ولم يصلنا من تفسيره إلا سورة الفاتحة وحتى الآية رقم ١٨٩ من سورة البقرة، ولعل له بقية مفقودة بدليل إحالته عند تفسير الآية رقم ١٧٣ من سورة البقرة على ما سيأتي في تفسير سورة المائدة، كما أنه أشار عند تفسير الآية رقم ١٨ من سورة البقرة إلى درسه الذي يلقيه في التفسير ونقل عنه، فربما كان أصل هذا التفسير هو الدرس الذي كان يلقيه في المسجد.

ويظهر من خلال دراسة أسلوب تفسير ابن بدران توسطه بين الطول والاختصار غالبًا وحرصه على ذلك، إضافة إلى منهجيته وحسن تصوره لما سيأتي في تفسيره من المباحث والاستدلالات، وكثرة استخدامه للأسئلة الافتراضيّة القائمة على افتراض سؤال يصدر من قائل ثم يرد عليه، وحرصه على ربط التفسير بقضايا واقعه ومشاكل مجتمعه. وقد ظهرت شخصيّة ابن بدران العلمية واضحة في تفسيره، ولعل كونه من أواخر مؤلفاته ساهم في ذلك من خلال اعتداده بآرائه واختياراته وترجيحاته، واستخدام ألفاظ من مثل: «وعندي، والذي أراه، والذي أختاره، وأميل إلى، ولاح لي، وظهر لي»، ومناقشته لبعض العلماء البارزين ورده بعض أقوالهم كالطبري والرازي والزمخشري وابن حيّان والنيسابوري وغيرهم، وذكره بعض الاستنباطات واللطائف التفسيريّة التي تظهر له من خلال الآيات، ولا تكاد توجد عند غيره من المفسرين.

والثالثة: كثرة مصادره وتنوعها:

تميّز تفسير ابن بدران بتنوع المصادر حيث اشتملت على كتب التفسير وعلوم القرآن، والسنة النبوية وعلومها، والعقيدة، والفقه وأصوله، واللغة العربية وعلومها.

وكان ابن بدران يذكر في الغالب اسم الكتاب الذي نقل عنه بالإضافة إلى اسم المؤلف، وقد زادت مصادره عن مائة وثلاثين مصدرًا ذكر فيها أسماء الكتب ووصلت إلى مائة وسبعين مصدرًا إذا أدخلنا ما يذكره من أسماء المؤلفين دون أسماء الكتب، وكان نصيب التفسير وعلوم

القرآن منها ستة وثلاثين كتابًا، وأكثر من النقل عن ثلاثة منها هي تفسير الطبري، حيث نقل عنه في ستة وستين موضعًا، وتفسير الرازي حيث نقل عنه في أربعة وأربعين موضعًا، وتفسير الزمخشري حيث نقل عنه في ستة وثلاثين موضعًا، كما أن مصادره من كتب السنة وعلومها زادت عن خمسة وأربعين كتابًا، ورجع ابن بدران في العقيدة إلى ستة مصادر فقط. أما في الفقه وأصوله فقد رجع إلى أربعة عشر مصدرًا، وفي اللغة وعلومها زادت مصادره عن خمسة عشر كتابًا.

وقد اختصرت هذه المقدمات الثلاث بشكل كبير لأنني قد بسطت القول في ترجمته والتعريف بتفسيره وبيان مصادره في بحث مستقل أسميته: (مدخل إلى دراسة تفسير ابن بدران)، وكان في تقديري أوّل الأمر حين بدأت في الدراسة أن أضمّنه مع هذا البحث، ولكن بعد جمع المادة العلميّة وجدت كمًّا كبيرًا من المعلومات المتعلقة بشخصيته التفسيريّة ومنهجه في تفسيره، لاسيما مع كون هذا الجانب من شخصيته لم يُطرق مسبقًا، وبعد تحرير المادة العلمية وكتابتها تجاوز عدد الصفحات مائتين وخمسين صفحة مما جعل نشره في بحث واحدٍ أمرًا غير مرحب به لدى معظم أوعية النشر العلمي، ولذلك فقد أفردت: منهج ابن بدران في تفسيره بهذا البحث المستقل، مستمدًا من الله العون والسداد، والله أعلم.

***

الباب الأول

التفسير بالمأثور عند ابن بدران

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

الفصل الثاني: القراءات في تفسير ابن بدران.

الفصل الثالث: السنة النبوية في تفسير ابن بدران.

الفصل الرابع: أسباب النزول في تفسير ابن بدران.

الفصل الخامس: موقف ابن بدران من الإسرائيليات في التفسير.

الفصل السادس: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

الفصل الأول:

تفسير القرآن بالقرآن

تمهيد:

يعدّ تفسير القرآن بالقرآن أحسن طرق التفسير وأصوبها، لأن القرآن أنزله الله تعالى: ﴿مُتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣].

أي يشبه بعضه بعضًا في الآي والحروف، ويصدّق بعضه بعضًا، فليس فيه اختلاف أو تناقض[١].

قال الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿مُتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾: تكون السورة فيها آية، وفي السورة الأخرى آية تشبهها.

وقال ابن عباس: «القرآن يشبه بعضه بعضًا ويرد بعضه على بعض»[٢]. وقال ابن كثير: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصحّ الطريق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد بسط في موضع آخر»[٣].

ومن هنا كان على مفسّر القرآن أن يكون حافظًا للقرآن عالمًا به، مستحضرًا لآياته المتشابهة في المعنى، والمتوافقة في المبنى.

وبالنظر في تفسير ابن بدران نجد أنه قد اهتم بهذا النوع من التفسير

---

(١) انظر زاد المسير، لابن الجوزي (٧/ ٥٧١).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٦٥).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤).

في بعض الآيات غير أنه لم يلتزم به في كل المواضع التي يمكن تفسير القرآن بالقرآن فيها.

ولعل الأمر يتضح بمقارنة جزئية بينه وبين مفسِّر اشتهر بالحرص على تفسير القرآن بالقرآن وهو ابن كثير؛ لمعرفة المواضع التي فسَّر فيها ابن كثير القرآن بالقرآن بينما أهمل ابن بدران ذلك في تفسيره، على أن تقتصر هذه المقارنة على سورة الفاتحة فقط طلبًا للاختصار:

١ - ففي قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال ابن كثير: «ومن هاهنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء في قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ هل هو اسم أو فعل متقاربان، وكلّ قد ورد به القرآن؛ أما من قدّره باسم، تقديره: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ ابتدائي، فلقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود:٤١]، ومن قدره بالفعل أمرًا أو خبرًا نحو: أبدأ باسم الله، أو ابتدأت باسم الله، فلقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١]، وكلاهما صحيح[(١)].

ففي هذا الموضع فسّر ابن كثير القرآن بالقرآن، وصوّب كلا القولين اعتمادًا على آيات الكتاب العزيز. بينما لم يشر ابن بدران إلى شيء من ذلك في كتابه.

٢ - عند بيان لفظ الجلالة: (الله) قال ابن كثير: «الله علم على الرب تبارك وتعالى، يقال إنه الاسم الأعظم، لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٩).

ٱلرَّحِيمُ ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤]، فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

وذكر ابن كثير أيضًا في هذا الموضع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨][1].

وفي هذا الموضع أيضًا لم يتعرض ابن بدران لأيّ من هذه الآيات.

٣- عند قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ استدل ابن كثير بالقرآن على أن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ اسم مشتق من الرحمة يعم جميع الخلائق مؤمنهم وكافرهم، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ اسم مشتق من الرحمة ولكنه خاص بالمؤمنين. قال ابن كثير: «ولهذا قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان:٥٩]، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعمّ جميع خلقه برحمته.

وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، فخصّهم باسمه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٢).

ولم يشر ابن بدران في هذا الموضع إلى هذه المسألة ولم يورد شيئًا من هذه الآيات.

٤- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أورد ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ربّ الجن والإنس... قال: واستدلّ القرطبي لهذا القول بقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١][1].

وهم الجن والإنس. ولم يشر ابن بدران إلى هذه الآية التي أوضحت معنى ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٥- قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، قال ابن كثير: تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الإعادة. قال القرطبي: إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥][2].

أما ابن بدران فإنه لم يشر إلى شيء من ذلك.

٦- قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية أكثر من خمس عشرة آية نختار منها على سبيل المثال تفسيره يوم الدين بيوم الجزاء. قال: والدين: الجزاء والحساب كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٧).

﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور:٢٥].

وقال: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥٣]، أي مجزيون محاسبون.

٧- قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، قال ابن كثير: «فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل، وهذا المعنى في غير آية من ا لقرآن، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣]، ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك:٢٩]. ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩].

أما ابن بدران فإنه لم يذكر شيئًا من هذه الآيات.

٨- قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، قال ابن كثير: «والهداية هاهنا: الإرشاد والتوفيق، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، فتضمن معنى ألهمنا، أو وفقنا، أو ارزقنا، أو أعطنا ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، أي بينا له الخير والشر، وقد تعدى بإلى كقوله تعالى: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١]، ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣]، وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة، وكذلك قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلًا»[1].

أما ابن بدران فقد نقل عن صاحب الكشاف قوله: معنى طلب

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤١).

الهداية وهم مهتدون: طلب زيادة الهدى بمنح الألطاف، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩][١].

وفي توضيح معنى ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال ابن بدران: وهو طريق الحق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣]، وهذا تفسير للمستقيم. وقال لنبيه المصطفى ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣][٢].

ولم يشر ابن كثير إلى آية الشورى المفسرة للصراط المستقيم، لأنه يرى أن الآية التي بعد قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هي التي تفسرها كما سيأتي.

٩- قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مفسّر للصراط المستقيم، وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم[٣].

ثم قال ابن كثير: والذين أنعم الله عليهم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]. أما ابن بدران فإنه لم يشر إلى ذلك.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٢).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٣).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٣).

١٠- قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]، قال ابن كثير بعد أن فسر المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى: وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخصّ أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٦٠]، وأخص أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار.

أما ابن بدران فقد ذهب إلى أن المغضوب عليهم هم المشار إليهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيتين [البقرة:٦-٧]. أي هم جنس الكفار، ويدخل فيهم اليهود والنصارى. وأن الضالين هم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة:٨]. أي هم المنافقون[١].

من خلال هذه الأمثلة العشرة يتبين منهج الحافظ ابن كثير المبني على تفسير القرآن بالقرآن، إذ قلّما تخلو آية إلا ويذكر خلال تفسيرها ما يشابهها أو يوضحها من آيات الكتاب العزيز. أما ابن بدران فلم يعتمد هذا المنهج وإن كان قد أشار إلى صحته بقوله: «من المعلوم أن القرآن يفسّر بعضه بعضًا»[٢]، بل واعتمده عند تفسيره لعدد من الآيات غير قليل.

وسوف أعرِّج في الصفحات القادمة على نماذج من تفسير القرآن بالقرآن عند ابن بدران وذلك من خلال المباحث التالية:

---

(١) انظر جواهر الأفكار ص(٤٦).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٣١٠).

المبحث الأول: تفسير الآية بذكر نظائرها:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، قال ابن بدران: وقد تكرر وصف أنهار الجنة في القرآن المجيد، فقال تعالى في هذه الآية: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وفي موضع آخر: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[١] [الأعراف:٤٣، ويونس:٩، والكهف:٣١].

٢- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩]. قال ابن بدران:وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠][٢].

٣- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، قال ابن بدران: وكان الرجل منهم لو لقي قاتل أبيه أو أخيه فيه لم يُهجه، ولم يعرض له بشيء حتى يخرج منه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧].

٤- عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١]، قال ابن بدران:ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة:١٣٥][٣].

---

(١) انظر جواهر الأفكار (ص:١٢٢).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٣٢).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣١٤).

٥- عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة:١١٣]، قال ابن بدران: ونظير هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [المائدة:٦٨][(١)].

٦- عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]. قال ابن بدران: وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ نظير قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾ [الرحمن:٣٣]. وعلى هذا يكون المراد من سعة العلم وهو نظير: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤][(٢)].

٧- عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]، قال ابن بدران: هذه الآية شبيهة بما تقدم من قوله: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨][(٣)].

المبحث الثاني: بيان المجمل بذكر ما يدل عليه من الآيات:

١- عند قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال ابن بدران:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣١٦).

(٢) انظر جواهر الأفكار (ص:٣١٦). ولعل الصواب خلاف ما ذهب إليه في الربط بين هاتين الآيتين، فالأولى إخبار بصفتين من صفات الله تعالى تدلان على عموم إحاطته وعلمه. والثانية بيان لكمال قدرة الله تعالى على جميع الجن والإنس وحكمه فيهم بما يريد، فهي مسوقة من باب التحدي والتهديد.

(٣) جواهر الأفكار (ص:٤٥٠).

و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق الخطر السلوك لتشعبه وكثرة الصّادين عنه، ولذا وصفه بـ: ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي المستوي، وهو طريق الحق. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣]، وهذا تفسير للمستقيم[١].

٢- عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة:٢٢]، قال ابن بدران: فقد علمت أنه ليس المراد بالبناء هنا ما يفهم عند العامة من أنه وضع لبنة فوق لبنة، كيف يكون وقد فسَّر تعالى ذلك البناء في موضع آخر في قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٢٧-٢٩]، فبين أن معنى بنائها إنما هو جعل مقدار ارتفاعها وذهابها في سمت العلوّ مديدًا رفيعًا[٢].

٣- عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، رأى ابن بدران أن هذه ا لأنهار تجري تحت غرف أهل الجنة وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا، وليس المعنى كما ظن بعض المفسرين أنها تجري بأمر أهل الجنة. واستدل على ذلك بأن الله تبارك وتعالى قد أخبر عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ [الأنعام:٦]، قال: «فهذا على ما هو المعهود المتعارف، وكذا ما حكاه في قول

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٣).
(٢) جواهر الأفكار (ص:١٠٢).

فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف:٥١][1].

٤- عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧]، بين ابن بدران معنى نقضهم العهد فقال: «ونقضهم إياه هو مخالفتهم الله في عهده إليهم، فيما وصف أنه عهد إليهم، بعد إعطائهم ربهم الميثاق بالوفاء بذلك، كما وصفهم به تعالى بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف:١٦٩][2].

٥- عند قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧].

قال ابن بدران: «ثم إن للمفسرين مذاهب شتى في الكلمات التي تلقاها آدم، وأحسن ما يقال: تفسير القرآن بالقرآن، وهو أن الله أخبر عن آدم وحواء بأنهما ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

٦- عند قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:١٠٨]. قال ابن بدران: «أقول من المعلوم أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، وأن السؤال هنا إنما وقع سؤالًا مقيدًا بأن يكون مثل ما سُئل موسى من قبل وما سُئل موسى قد نطق به القرآن وفصّله في آيات،

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٢٢).

(٢) جواهر الأفكار (ص:١٣٧).

فكانوا تارة يقولون: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وتارة يقولون تعنتًا ولجاجًا: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٦١]، إلى غير ذلك مما هو معلوم من لجاجهم وعنادهم[(١)].

المبحث الثالث: تخصيص العام بذكر ما يدل عليه من آيات القرآن:

وأذكر هنا مثالًا واحدًا عند قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة:١٤٥]، قال ابن بدران: و أطلق ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فقال جماعة: المراد: جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ علمائهم وعامتهم، والأولى أن يكون المراد بهم علماؤهم الذين أخبر الله عنهم في الآية المتقدمة بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:١٤٤]، ويدلّ على هذا الإيتاء المفهوم من (أوتوا) لأنه لا يكون حقيقة إلا للعلماء الذين يفهمونه ويبلِّغونه للعوام، فهم لهم تبع[(٢)].

المبحث الرابع: توضيح معاني مفردات القرآن من القرآن:

١ - عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦]. بين ابن بدران معنى الكفر فقال: والكفر في اللغة: الستر. وأصله: الفتح[(٣)]، ومنه قيل للزارع: كافر، لأنه يستر الحبَّ في الأرض قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد:٢٠][(٤)].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣١٠).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٨٦).
(٣) الذي يظهر أن ابن بدران يقصد بالكفر في هذا الموضع المعنى اللغوي.
(٤) جواهر الأفكار (ص:٦٢).

٢- عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٢]، قال ابن بدران: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لأجل أن تشكروا، فـ (لعلّ) معناها هنا التعليل. كما قاله الأخفش والكسائي[١].

وحملوا عليه ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]. ومن لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء[٢].

٣- عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥].

قال ابن بدران: وقوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾. ليس بأمر لهم، لأنهم لم يكونوا قادرين على أن يقلبوا أنفسهم على صورة القردة. بل المراد منه سرعة التكوين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠][٣].

٤- عند قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠].

قال ابن بدران: وقد اختلف المفسرون[٤] في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ فقال الزهري: المال مطلقًا يُسمّى (خيرًا) بلا فرق بين القليل والكثير، لأن الله سمّى القليل خيرًا فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/ ٦٣١) وإملاء ما منَّ به الرحمن (١/ ٣٦).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٠٥).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٢٢٠، ٢٢١).
(٤) انظر في ذلك: جامع البيان (٢/ ١٢٠) وتفسير مجاهد ص ٢٢٠.

خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧]. وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

وأيضًا الخير: ما ينتفع به، والمال القليل كذلك، فيكون خيرًا، وقد اعتبر الله أحكام المواريث فيما يبقى من المال قلّ أم كثر، بدليل قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:٧]، فوجب أن يكون الأمر كذلك في الوصية، وهذا هو الحق لما ذكر من الأدلة، ولقول مجاهد: الخير في القرآن كله: المال.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨].

﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ [ص:٣٢].

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:٣٣].

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود:٨٤][1].

٥- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤].

قال ابن بدران:وقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ معناه: فقام بهن حقَّ القيام، وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان، كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧][2].

٦- عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦]، قال

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٨٦، ٤٨٧).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٣٧).

ابن بدران: «وأصل الفسق في كلام العرب: الخروج عن الشيء... ولذلك قال تعالى في صفة إبليس: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]، يعني به: خرج عن طاعته واتباع أمره»[1].

* * *

(١) جواهر الأفكار (ص:١٣٣).

الفصل الثاني:

القراءات في تفسير ابن بدران

تمهيد:

يعدُّ علم القراءات من العلوم التي يحتاجها المفسر، لأن هذا العلم ـ كما قال السيوطي: وسيلة لمعرفة كيفية النطق بالقرآن، وبه أيضًا يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض[١].

وقال السيوطي أيضًا: من المهم معرفة التفاسير عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة، وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان، فيُظن اختلافًا وليس باختلاف،وإنما كلُّ تفسير على قراءة، وقد تعرض السلف لذلك[٢].

ومن ذلك يتبين تأثير القراءة في اختلاف التفسير وتعدد الأقوال حتى عند المفسر الواحد. ومعرفة القراءات تغني ـ بلا شك ـ عن التكلف في استنباط التأويلات، وتوفر على المفسر وقتًا طويلًا يهدر بغير كبير فائدة، حتى قال مجاهد رحمه الله: «لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه»[٣].

وبالنظر إلى مكانة القراءات في تفسير ابن بدران، نجد أنه اهتم بها اهتمامًا ملحوظًا، واستفاد من اختلافها في توجيه النصّ القرآن إلى ما يراه

---

(١) الإتقان (٢/ ٤٥٠).
(٢) الإتقان (٢/ ٤٥٦).
(٣) سنن الترمذي (٤/ ٢٦٩) كتاب التفسير.

صوابًا، حيث استخلص من القراءات القرآنية كثيرًا من المعاني التي ساعدته على كشف بديع النظم القرآني وسمو بلاغته وكمال إعجازه.

ويمكن الكشف عن عناية ابن بدران بالقراءات القرآنية من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الإشارة إلى اختلاف المعنى باختلاف القراءة:

١- عند قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]، قال ابن بدران: «وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ رمز إلى قبح الكذب وسماجته، وتخيّل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة:٨].

وهذا المعنى يناسب قراءة (يَكْذبون) بفتح المثناة التحتيه، وسكون الكاف، وهي قراءة معظم أهل الكوفة، وقرأ معظم أهل المدينة والحجاز والبصرة (يُكَذبون) بضم المثناة التحية، وفتح الكاف. كأنهم رأوا أن الله تعالى أوجب للمنافقين العذاب الأليم، بتكذيبهم نبيهم محمدًا»[(١)].

٢- عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:١٠٦]. قال ابن بدران: «والمعنى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي نُزِلها بإبدال أخرى مكانها، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ على قراءة الهمز، أي نؤخّرها ونذهبها لا إلى بدل»[(٢)].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٧٣) وانظر هاتين القراءتين في المبسوط في القراءات العشر ص(١١٥) وحجة القراءات (ص:٨٨) وغاية الاختصار (٢/ ٤٠٥).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٠٠) وانظر هاتين القراءتين في المبسوط (ص:١٢١) والنشر (٢/ ٢٢٠) وغاية الاختصار (٤١٥).

٣- عند قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤].

قال ابن بدران: «﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب، فيحتمل أن يُراد به المؤمنون، لقوله: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤]، ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب، فيكون من باب الالتفات.

ووجهه: أن في خطابهم، بأن الله لا يغفل عن أعمالهم تحريكًا لهم بأن يعملوا بما علموا من الحق، لأن المواجهة بالشيء تقتضي شدة الإنكار، وعظم الشيء الذي ينكره.

ومن قرأ بالياء؛ وهم الباقون، فالظاهر أنه عائد على أهل الكتاب، لمجيء ذلك في نسقٍ واحدٍ من الغيبة. وعلى كلا القراءتين فهو إعلام بأن الله لا يهمل أعمال العباد أو يغفل عنها، وهو متضمن الوعيد[1].

٤- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ [البقرة:٥١].

قال ابن بدران: «قُرئ «وعدنا» بدون ألف، و«واعدنا» بالألف، فأما بغير ألف فوجهه ظاهر، لأن الوعد كان من الله تعالى، وأما بالألف فهو من باب المفاعلة، وهي لا تكون إلا بين اثنين فيقال: إن الوعد وإن كان من الله تعالى، فقبوله كان من موسى عليه السلام، وقبول الوعد يشبه الوعد...»[2].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٨٦،٣٨٥)، وانظر في القراءتين المبسوط (ص:١١٨)، وغاية الاختصار (٢/ ٤١٨).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٠٤) وانظر في القراءتين المبسوط (ص:١١٧) والنشر (٢/ ٢١٢) وغاية الاختصار (٢/ ٤٠٨).

٥- عند قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].

قال ابن بدران: «ولما لم يكن وسع الناس عامة بالإحسان بالفعل ممكنًا، أمر بجعل ذلك بالقول فقال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: حَسَنًا بالتحريك. وبها قُرئ. ويجوز أن (حسْنًا) بسكون السين بمعنى: وقولوا للناس قولًا هو حُسْنٌ في نفسه، على حدِّ قولك:زيد عدْلٌ، أي لإفراط حسنه صار كأنه هو الحُسْن»[(١)].

المبحث الثاني: التوجيه الإعرابي للقراءة وأثره في المعنى:

كثيرًا ما عرج ابن بدران على التوجيه الإعرابي للقراءة وبين موقع الألفاظ من الإعراب، واختلاف ذلك باختلاف القراءة، وتأثيره على المعنى العام للآية ومن ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:١٠٠].

قال ابن بدران: الواو للعطف على محذوف. ومعناه: كفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا. وقرأ (أبو السمال) بسكون الواو، على أن ﴿ٱلْفَاسِقُونَ﴾ بمعنى: الذين فسقوا. بجعْل (أل) موصولة. فكأنه قيل: وما يكفر بها إلا الذين فسقوا، أو نقضوا عهد الله مرارًا كثيرة»[(٢)].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٤٧) وانظر في القراءتين المبسوط (ص:١١٩) وغاية الاختصار (٢/ ٤١١) والتلخيص في القراءات الثمان (ص:٢١١).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٧٨، ٢٧٩). وانظر هذه القراءة الشاذة عن أبي السمال وردّ أبي الفتح ابن جني عليها في المحتسب (١/ ٩٩).

٢- عند قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

قال ابن بدران: «وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بهم وإيذان ببطل دعواهم اتباع إبراهيم، مع إشراكهم بقولهم: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله.

وقرأ الجمهور (ملَّة) بالنصب، بإضمار فعلٍ، إما على المفعول، أي بل نتبع (ملَّة)، وإما على الإغراء أي: الزموا (ملّة).

وقُرئ (ملّةُ) بالرفع، على معنى: أي بل الهدى ملة، فتكون (ملة) خبرًا لمبتدأ محذوف. و(حنيفًا) حال من المضاف إليه أو من المضاف، على جعل الـ (ملة) بمعنى الدين، وعلى التقديرين فالحال لازمة[1].

٣- عند قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٤٠].

قال ابن بدران: «كأنه قال: أتحاجوننا.. أم تقولون؟ وهذا على قراءة (تقولون) بالتاء، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم. وقرأ الباقون بالياء على أنه إخبار عن اليهود والنصارى. فعلى الأول يحتمل أن تكون (أم) متصلة. وتقديره: بأيّ الحجتين تتعلقون في أمرنا؟ أبالتوحيد؟ فنحن موحّدون، أم باتباع دين الأنبياء، فنحن متبعون.

وأن تكون منقطعة بمعنى: بل أتقولون؟ والهمزة للإنكار أيضًا.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٥٨). وانظر هاتين القراءتين في النشر (٢/ ٢٢١) وغاية الاختصار (٢/ ٤١٦) والكشف عن وجوه القراءات السبع (١/ ٢١٩).

وعلى الثاني تكون منقطعة لانقطاع معناه، بمعنى الانقطاع إلى حجاج آخر غير الأول، كأنه قيل: أتقولون إن الأنبياء كانوا قبل نزول التوراة هودًا أو نصارى؟[1].

٤- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [البقرة:١٧٣].

قال ابن بدران: «وقُرئ: (حرّم) مسندًا إلى ضمير اسم الله، وما بعده منصوب، وهي قراءة الجمهور. فـ (ما) على هذا، مهيئة في (إنما)، هيأت (إن) لولايتها الجملة الفعلية.

وقرأ ابن أبي عبلة برفع الميتة وما بعدها، فتكون (ما) موصولة، اسم (إن)، والعائد محذوف، أي: إن الذي حرمه الله: ا لميتة، وما بعدها خبر (إن).

وقرأ أبو جعفر: (حُرِّم) مشددًا، مبنيًّا للمفعول، فاحتملت (ما) وجهين:

أحدهما: أن تكون موصولة؛ اسم (إن)، والعائد: الضمير المستكنّ في (حرم) و (الميتة) خبر (إن).

والوجه الثاني: أن تكون (ما) مهيئة، و(الميتة) مرفوع بـ (حرّم).

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: (إنما حَرُم) بفتح الحاء وضم الراء مخففة، جعله لازمًا، و(الميتة) وما بعدها مرفوع، وتحتمل (ما) الوجهين من

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٦٣، ٣٦٤). وانظر هاتين القراءتين في المبسوط (ص:١١٨) والنشر (٢/ ٢٢٣) وغاية الاختصار (٢/ ٤١٨).

التهيئة والوصل. فعلى الأول (الميتة) فاعل بـ (حَرُم)؛ وعلى الثاني هي خبر (إن)»[١].

٥- عند قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة:١٧٧].

قال ابن بدران: «وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ منصوب على الاختصاص والمدح؛ إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد، ومواطن القتال على سائر الأعمال، وقرئ (والصابرون)، وقُرئ: (والموفون) (والصابرون)»[٢].

المبحث الثالث: الترجيح بين القراءات:

رجح ابن بدران بين القراءات في بعض المواضع، وكان عمدته في ذلك إما معنى يراه فيرجح من أجله إحدى القراءتين، أو إعرابًا يرى أن القراءة المرجَّحةَ تكون به أفصح وأجود، وأحيانًا كان ينقل ترجيح غيره دون أن يعلّق مما يوحي باستصواب رأي المرجِّح. ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠].

فبعد أن ذكر القراءتين في(يكذبون) ومعنى كلّ منهما على ما سبق ذكره[٣]. ضعَّف ابن بدران المعنى الذي نُزِّل على قراءة (يُكَذبون) فقال:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٥٤) وانظر هذه القراءات في المبسوط (ص:١٢٥) وغاية الاختصار (٢/ ٤٢١).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٧٢) وانظر هذه القراءة في المحتسب (١/ ١١٧).

(٣) انظر: (ص:٢٨).

«وليس هذا المعنى بجيد، لما جرت سنة الله به في كتابه، أن يفتتح ذكر محاسن أفعال قوم، ثم يختتم ذلك بالوعد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم، ويفتتح ذكر مساوئ أفعال آخرين، ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم.

وهنا أخبر الله عن المنافقين، في أول الخبر عنهم في هذه السورة بأنهم يقولون: ﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

وما كان قولهم هذا إلا خداعًا وكذبًا، فالواجب إعادة قوله: ﴿كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ إلى هذا، وأن يقرأ (يَكْذبون) بفتح الياء، ليكون الوعيد منه لهم على ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح أعمالهم، وذميم أفعالهم...»[(١)].

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا﴾ [البقرة:١٦٥].

قال ابن بدران: «وقرأ نافع وحده (ولو ترى) بالتاء المثناة من فوق، فيكون الخطاب للرسول، أو كلّ مخاطب. وتقدير جواب (لو) لرأيت أمرًا عظيمًا. ورجَّح ابن جرير هذه القراءة، فقال: وإن كان على هذه القراءة يكون مخرج الخطاب للرسول معنيًا به غيره، لأنه كما لاشك عالمًا بـ ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، لكن القوم إذا رءوا العذاب يوقنون بـ ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، فلا وجه أن يقال: لو يرون أن القوة لله جميعًا حينئذٍ، لأنه إنما يقال: «لو رأيت» لمن لم ير، فأما من قد رآه فلا معنى لأن يقال له: «لو رأيت»[(٢)].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٧٣، ٧٤).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٣٦، ٤٣٧) وانظر في هذه القراءة المبسوط (ص:١٢٤) والنشر (٢/ ٢٢٤) وغاية الاختصار (٢/ ٤٢٠) وجامع البيان (٢/ ٦٩).

٣- عند قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

قال ابن بدران: «فعدّةٌ بالرفع على معنى: فعليه عدة، وقُرئ بالنصب على معنى فليصم عدة،ونظم الكلام يُشعر بأن تقدير الرفع[١]، فالمكتوب عدة لأن الآية مصدّرة بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ و(عدة) هنا مصدر بمعنى اسم المفعول، أي: معدودة، وبين الشرط وجوابه محذوف، والتقدير: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ فأفطر، فالمكتوب عليه عدة، أي أيام معدودة من أيام أخر غير التي أفطرها فـ (من أيام) في موضع الصفة، لقوله (فعدة) و (أخر) صفة لـ (أيام)»[٢].

المبحث الرابع: عدم ذكر أي أثر لاختلاف القراءات:

هناك مثالان اثنان لم يذكر ابن بدران فيهما أي أثر لاختلاف القراءة، بل اكتفى بذكر اختلاف القراءة فحسب:

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٩]، قال ابن بدران عن ﴿تَعْمَلُونَ﴾: «قُرئ بالتاء والياء»[٣].

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ [البقرة:١٧٣].

---

(١) لعل تمام العبارة: بأن تقديره الرفع، فسقطت الهاء في كلمة (تقديره).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٩٢) وانظر هاتين القراءتين في المبسوط ص(١٢٧) وغاية الاختصار (٢/ ٤٢٣).

(٣) جواهر الأفكار (ص:٤٩٢) وانظر فيهما المبسوط (ص:١١٨) وغاية الاختصار (٢/ ٤١٨).

قال ابن بدران: «واختلفت القراءات أيضًا في ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ فقرأها بعضهم بالتخفيف وبعضهم بالتشديد، وهما لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب»[1].

***

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٥٤)، وانظر فيهما المبسوط (ص:١٢٦)، وغاية الاختصار (٢/ ٤٢١).

الفصل الثالث:

السنة النبوية في تفسير ابن بدران

تمهيد:

إن السنة النبوية هي الشطر الثاني من الوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيّه ﷺ، والسنة النبوية قد فصّلت كثيرًا من الأحكام التي أشار القرآن إلى أصولها دون تفصيل، فهي شارحة للقرآن وموضحة له، كما أنها مستقلة في تقرير الأحكام والتشريعات التي لم يذكرها القرآن قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤].

قال ابن كثير: فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصحَّ الطريق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل:٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤].

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا إني أوتيت القرآن**

ومثله معه» يعني السنة[١].

والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن، وقد استدلَّ الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة، ليس هذا موضع ذلك[٢].

وإذا نظرنا إلى موقف ابن بدران من السنة النبوية، وجدنا أنه اعتنى بها عناية بالغة، واستشهد بها في تفسير وتوضيح وتأكيد معاني كثير من الآيات، ويمكن الإشارة إلى بعض النماذج من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: تفسير القرآن بالسنة:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥].

ذكر ابن بدران الأحاديث الصحيحة التي بينت أن هذه الآية مخصوصة بصلاة النافلة إذا كان الإنسان في سفر، فله أن يصلي على راحلته أينما توجهت. قال ابن بدران: «وقال أبو حيَّان في (البحر)، وعن عامر بن ربيعة: أن ذلك جرى مع رسول الله ﷺ في السفر، ولو صحَّ ذلك لم يُعدل إلى سواه»[٣] انتهى.

أقول: هذا السبب مروي بسند صحيح فقد أخرج البخاري والبيهقي

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٣٠) والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٣٧) والمروزي في السنة (١/ ٧١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ص:٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (١/ ٥٢٤).

وابن أبي شيبة عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي على راحلته قِبَل المشرق، فإذا أراد أن يصلي المكتوبة نزل واستقبل القبلة وصلى»[١]. وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي شيبة والطبراني والبيهقي وعبد بن حميد عن ابن عمر، قال: «كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعًا أينما توجهت به. ثم قرأ ابن عمر: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. وقال ابن عمر: في هذا أنزلت هذه الآية[٢]. وأخرج الدار قطني والحاكم وصححه، وابن أبي حاتم وابن جرير، عن ابن عمر قال: «أنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع»[٣].

وأخرج البخاري والبيهقي عن جابر قال: «رأيت رسول الله ﷺ في غزوة أنمار، يصلي على راحلته متوجهًا قبل المشرق تطوعًا»[٤]، وفي الباب عن أبي داود الطيالسي وابن ماجه، وكذا روى الإمام أحمد نحو ما تقدم[٥].

وروى الترمذي وابن أبي شيبة في جامعه عن عامر بن ربيعة قال: كنا

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٥١٦)، ومسلم (١/ ٣٨٣) والبيهقي (٢/ ٦) وابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٨٦) والترمذي (٥/ ٢٠٥) والنسائي (٢/ ٦١) وابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٦) والطبراني في الأوسط (٣/ ١٧٢) والبيهقي (٢/ ٤) وعبد بن حميد في المنتخب (ص٢٦٦).

(٣) أخرجه الدارقطني (١/ ٢٧١) والحاكم (٢/ ٢٩٢) وابن أبي حاتم في العلل (١/ ٧٥) وابن جرير (١/ ٥٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٥١٦) والبيهقي (٢/ ٤) عن جابر.

(٥) انظر مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٢٤٨، ٢٥١) ومسند أحمد (٣/ ٣٠٠، ٣٠٤).

مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة، فلم ندر أين القبلة؟، فصلّى كل رجل منَّا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قال الترمذي: هذا حديث غريب[1]، وفي سنده أشعث السمان وهو يضعَّف في الحديث» انتهى[2].

ثم قال ابن بدران بعد أن ساق هذه الأحاديث: «فالأحاديث الأولى هي الصحيحة بما هو بمعنى ما تقدم، ومنه يعلم أن الآية مخصوصة بصلاة النافلة، وليست بمنسوخة، وفي معنى النافلة ما إذا جهلت القبلة ولم يعلم مكانها، وصلى المصلي بالاجتهاد، فالآية جاءت مجيء العموم والمراد الخاص»[3].

فهذا المثال يُظهر اهتمام ابن بدران بتفسير القرآن بسنة النبي ﷺ مع الحرص على تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها واختيار ما يصح منها وتفسير الآية على ضوئه.

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣].

قال ابن بدران: «فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه، عن أبي سعيد الخدري[4]، أن النبي ﷺ قال في قوله تعالى:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ١٧٦).

(٢) انظر التاريخ الأوسط للبخاري (٢/ ٢٦٦) والتاريخ الكبير (١/ ٤٣٠)، والمقتنى في سرد الكنى (١/ ٢٣٢) وأحوال الرجال (١/ ٩٣) والجرح والتعديل (٢/ ٢٧٢).

(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٢٤، ٣٢٥).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٩) والترمذي (٥/ ٢٠٧) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٩٢)، والحاكم (٢/ ٢٩٥).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: «**عدلًا**». ورواه ابن جرير عن أبي هريرة[١]. ورواه الإمام أحمد والبخاري والترمذي، عن أبي سعيد مرفوعًا في حديث طويل[٢]، ورواه سعيد بن منصور وابن ماجه والبيهقي في كتابه: «**البعث والنشور**»[٣]، وحيث صحَّ هذا التفسير عن النبي ﷺ، فلا يعدل عنه إلى غيره»[٤].

فهذا المثال يبين عناية ابن بدران بتفسير القرآن بالسنة، بشرط أن يصحّ هذا التفسير عن النبي ﷺ، فإذا صحّ فلا مجال لتجاوزه والعدول عنه إلى غيره.

٣- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [البقرة:١٧٣].

ذكر ابن بدران بعض الأحاديث التي تخرج عن هذا العموم فقال: «وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه والدار قطني من طريق عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحلَّ لنا ميتتان ودمان؛ فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال**»[٥]، ورواه الدار قطني أيضًا[٦] من رواية عبد الله بن زيد بن أسلم

---

(١) جامع البيان (٢/ ٩).
(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٢) والبخاري (٣/ ١٢١٥) والترمذي (٥/ ٢٠٧).
(٣) رواه سعيد بن منصور (٢/ ٦١٨) وابن ماجه (٢/ ١٤٣٢).
(٤) جواهر الأفكار (ص:٣٧٢).
(٥) رواه أحمد (٢/ ٩٧) وابن ماجه (٢/ ١١٠٢) والدارقطني (٤/ ٢٧١).
(٦) رواه الدارقطني (٤/ ٢٧١).

عن أبيه بإسناده[١].

٤- عند قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧].

ذكر ابن بدران الحديث المبين للخيط الأبيض والخيط الأسود فقال: «وأخرج أيضًا ـ أي البخاري[٢] ـ بسنده إلى الشعبي عن عديّ بن حاتم قال: أخذ عديٌّ عقالًا أبيض وعقالًا أسود، حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا، فلما أصبح قال: يا رسول الله جعلت تحت وسادتي. قال: «**إن وسادك إذًا لعريض إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك**». وفي رواية له عن عدي قال: قلت: يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: «**إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين**» ثم قال: «**لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار**».

المبحث الثاني: الاستشهاد بالحديث على توضيح معنى الآية أو تأكيده:

هناك أمثلة كثيرة على استشهاد ابن بدران بالحديث لتوضيح معنى الآية وتأكيده ومن ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦].

قال ابن بدران: «بقي هنا أن يقال: إن قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ على هذه القراءة يشير إلى صدور النسيان من النبي ﷺ، وقد

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٥٤).
(٢) رواه البخاري (٤/ ١٦٤٠).

أجاب عنه ابن عطية في تفسيره بقوله: «والصحيح في هذا أن نسيان النبي ﷺ ـ لما أراد الله أن ينساه ولم يُرد أن يثبته قرآنًا ـ جائز. وأما النسيان الذي هو آفة في البشر، فالنبيُّ ﷺ معصوم منه قبل ا لتبليغ وبعده، ما لم يحفظه أحد من الصحابة، وأما بعد أن يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر، لأنه قد بلّغ وأدى الأمانة.

ومنه الحديث حين أسقط آية، فلما فرغ من الصلاة قال: «أفي القوم أُبيّ؟» قال: نعم يا رسول الله. قال: «فلم لم تذكرني؟» قال: خشيت أنها رفعت. فقال: «لم ترفع ولكني نسيتها»[1].

٢- عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة:١٦٨].

قال ابن بدران: «ويشبه أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ الآية، هو المشار إليه بما رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيّن، وإن الحرام بيّن، وبينهما أمورٌ مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، ويوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكلّ ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٢٢). والحديث رواه أحمد (٣/ ٤٠٧) والنسائي في الكبرى (٥/ ٦٧).

القلب»[١]. فإذا لاح الحرام وتراءت الشبهات، كان للشيطان مدخل، وكان الإنسان كالراعي يرعى حول الحمى»[٢].

٣- عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢].

ذكر بدران الحديث الذي يوضح معنى هذه الآية فقال: «أخرج مسلم في صحيحه والترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾** [المؤمنون:٥١]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء؛ يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك»[٣].

٤- عند قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤]، ذكر ابن بدران الأحاديث التي تحدد السفر المبيح للفطر، والأحاديث التي تدل على المفاضلة بين الفطر والصوم في السفر.

فمن ذلك نقله عن ابن القيم قوله: «وكان الصحابة حين يُنشئون السفر يُفطرون من غير اعتبار مجاوزة البيوت، ويخبرون أن ذلك سنته وهديه ﷺ، كما قال عبيد بن بشير: ركبت مع أبي بصرة الغفاري صاحب

(١) رواه البخاري (١/ ٢٨) ومسلم (٣/ ١٢١٩).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٤١، ٤٤٢).
(٣) رواه مسلم (٢/ ٧٠٣) والترمذي (٥/ ٢٢٠).

رسول الله ﷺ، في سفينة من الفسطاط في رمضان، فلم نجاوز البيوت حتى دعا بالسفرة، قال: اقترب. قلت: ألست ترى البيوت. قال أبو بصرة: أترغب عن سنة رسول الله ﷺ؟ رواه أبو داود وأحمد[١]. ولفظ أحمد: ركبت مع أبي بصرة من الفسطاط إلى الإسكندرية في سفينة، فلما دنونا من مرساها أمر بسفرته فقربت، ثم دعاني إلى الغداء، وذلك في رمضان. فقلت: يا أبا بصرة ! والله ما تغيب عنا منازلنا بعد. فقال: أترغب عن سنة رسول الله ﷺ؟ فقلت: لا. فقال: كل. فلم نزل مفطرين حتى بلغنا.

وقال محمد بن كعب: أتيت أنس بن مالك في رمضان وهو يريد السفر، وقد رحّلت راحلته، وقد لبس ثياب السفر، فدعا بطعام فأكل، فقلت له: سنة؟ قال: سنة، ثم ركب. قال الترمذي: حديث حسن. وقال الدار قطني: فأكل وقد تقارب غروب الشمس[٢].

وهذه الآثار صريحة في أن من أنشأ السفر في أثناء يوم من رمضان فله الفطر فيه»[٣] انتهى.

ثم ذكر ابن بدران كلامًا في أفضلية الفطر عند لقاء العدو، ثم قال: «ولأن النبي ﷺ قال للصحابة لمّا دنوا من عدوهم: «**إنكم قد دنوتم من عدوكم فأفطروا أقوى لكم**»، وكان رخصة، ثم نزلوا منزلًا آخر فقال: «**إنكم مصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم فأفطروا**»[٤]، وكانت عزيمة...

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٩٨) وأبوداود (٢/ ٣١٨).
(٢) رواه الترمذي (٣/ ١٦٣) والدارقطني (٢/ ١٨٧).
(٣) انظر: زاد المعاد (٢/ ٥٦).
(٤) رواه مسلم (٢/ ٧٨٩)، وأبوداود (٢/ ٣١٦) وأحمد (٣/ ٣٥)

وأما إذا تجرد السفر عن الجهاد، فكان رسول الله ﷺ يقول في الفطر: «**إنه رخصة من الله، فمن أخذها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه**»[١].

هذا وقد أخرج الترمذي عن عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول الله ﷺ عن الصوم في السفر ـ وكان يسرد الصوم ـ فقال رسول الله ﷺ: «**إن شئتَ فصم، وإن شئت فأفطر**». قال الترمذي: حديث عائشة هذا حديث حسن[٢]، وفي المقام مباحث محلّها كتب الحديث وشروحها»[٣]. فهذه الأحاديث التي ذكرها ابن بدران أوضحت كثيرًا من الأحكام التي تتعلق بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ دون أن يكون لها ذكر في الآية نفسها.

٥ - عند قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:١٨٤].

أكد ابن بدران هذا المعنى بقوله: كما أشار إليه الحديث القدسي الصحيح: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به**»[٤].

٦ - عند قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

ذكر ابن بدران الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى فقال: «وفي الحديث:

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٩٠) وابن حبان (٨/ ٣٣٢) والدارقطني (٢/ ١٨٩).
(٢) رواه مسلم (٢/ ٧٨٩) والترمذي (٣/ ٩١).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٤٩٤- ٤٩٦).
(٤) جواهر الأفكار (ص:٥٠٠) والحديث رواه البخاري (٢/ ٦٧٣) ومسلم (٢/ ٨٠٦).

«دين الله يسر»[١]، «يسر ولا تعسّر»[٢]، و «ما خيِّر ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما»[٣].

المبحث الثالث: مميزات منهج ابن بدران في العناية بالسنة:

امتاز منهج ابن بدران في العناية بالسنة النبوية عن كثير من المفسرين بميزات كثيرة من أهمها:

أولاً: اعتداده بالحديث والسنة الصحيحة:

كان اعتداد ابن بدران بالحديث النبوي واضحًا وحضور السنة في تفسيره ملحوظًا، وقد أشار في بعض المواضع أنه لا يسعه تقديم قول أحد على السنة الصحيحة ألبتة. فمن ذلك:

١- قال ابن بدران: «وحيث اختلفت الأقوال، فالمرجع إلى ما صحّ سنده من كلام رسول الله ﷺ»[٤].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧].

قال ابن بدران: «وقد أطال المفسرون هنا، فذكروا ماهية هذا البيت وقدمه، وحدوثه، ومن أي شيء كان بابه، وكم مرة حجه آدم، ومن أي

(١) رواه البخاري (١/ ٢٣) بلفظ "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه...".
(٢) رواه البخاري (١/ ٣٨)، ومسلم (٣/ ١٣٥٩) بلفظ: "يسروا ولا تعسروا".
(٣) جواهر الأفكار (ص:٥٠٥، ٥٠٦) والحديث رواه البخاري (٦/ ٢٤٩١) ومسلم (٤/ ١٨١٣).
(٤) جواهر الأفكار (ص:٣٤٢).

شيء بناه إبراهيم، ومن ساعده على البناء، وذكروا قصصًا كثيرة، واستطردوا من ذلك للكلام في البيت المعمور، وفي طول آدم، والصلع الذي عرض له ولولده، وفي الحجر الأسود، وطولوا في ذلك بأشياء لم يتضمنها القرآن ولا الحديث الصحيح، وبعضها يناقض بعضًا، وذلك على جري عادتهم في نقل ما دبَّ ودرج، ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما صحَّ في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[1].

٣- وقال أيضًا في بعض المواضع: «وحيث صحَّ هذا التفسير عن النبي ﷺ، فلا يُعدل عنه إلى غيره»[2].

ثانيًا: ذكر مصادر الأحاديث ورواتها:

وهذه ميزة ثانية لتفسير ابن بدران، حيث التزم في معظم الأحاديث التي ذكرها بذكر الكتب التي أخرجتها، وذكر الصحابة الذين رووها، وفيما ذكرته قبل من الأمثلة غنية[3].

ثالثًا: الاستشهاد بما يصح من الأحاديث:

معظم الأحاديث التي أوردها ابن بدران في كتابه صحيحة، ولم أجد ما يمكن أن يضعّف من الأحاديث سوى بضعة أحاديث قليلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٧٢).

(٣) وللاستزاده انظر الصفحات التالية من تفسير (جواهر الأفكار) (ص:٣٨، ٥٩، ١٢٢، ١٢٣، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٥، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٩، وغير ذلك).

وهذا يدل على رسوخ قدمه في السنة وعلومها وعنايته بصحة ما يورده من الأحاديث وتثبته في هذا الباب.

رابعًا: عنايته بتعدد الروايات واختلاف الألفاظ:

وقد ظهر ذلك في بعض المواضع من تفسيره منها:

١ - عند قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣].

قال: «ويدل لهذا المعنى حديث الصحيحين[١] عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: «**من سرَّه أن يُبسط عليه**» وفي رواية: «**له في رزقه، ويُنسأ في أثره، فليصل رحمه**» ورواه البخاري والترمذي عن أبي هريرة[٢]، بلفظ: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٣].

٢ - وعند الحديث عن الخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر قال ابن بدران: "فقد روى ابن جرير وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والبيهقي وسفيان بن عيينة وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر من حديث عديّ بن حاتم أن النبي ﷺ قال: «**إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل**»، وفي لفظ ابن جرير وابن أبي حاتم: «**وإنما هو ضوء النهار من ظلمة الليل**»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٧٢٨)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢).

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٢٣٢).

(٣) جواهر الأفكار (ص:٢٤٤).

(٤) رواه ابن جرير (٢/ ١٧٨)، وأحمد (٤/ ٣٧٧) والبخاري (٢/ ٦٧٧)، ومسلم (٢/ ٧٦٦) وأبو داود (٢/ ٣٠٤) والترمذي (٥/ ٢١١) والبيهقي (٤/ ٢١٥) وسعيد بن منصور (٢/ ٢٩٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٨٩).

وهذا يدل على أن مجرد طلوع الفجر الثاني هو مبدأ الإمساك في الصوم، وذهب جماعة من المفسرين إلى أن الخيط الأبيض أن يكون الضوء منتشرًا مستفيضًا في السماء يملأ بياضه وضوءه الطرق، فأما الضوء الساطع في السماء فهو غير الذي عناه الله بقوله: ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، وبذلك قال أبو مجلز. ورواه الأعمش عن مسلم، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، ورواه ابن جرير ووكيع وابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن سمرة ابن جندب قال: «لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال، ولا الفجر المستطيل، ولكن المستطير في الأرض». وأخرجه الإمام أحمد عن طلق بن على بلفظ: «ليس الفجر بالمستطيل في الأفق، ولكنه المعترض الأحمر»[1].

خامسًا: عنايته بالجرح والتعديل والحكم على الأحاديث:

كان لابن بدران جولات مطولة في هذا الجزء من تفسيره خصصها لتناول بعض الأحاديث بالتصحيح والتضعيف وبعض الرواة بالجرح والتعديل، مما يدل على تخصص واضح في فنون المصطلح وعلم الرجال، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - ذكر الحديث الذي رواه عثمان بن سعيد الدارمي، حدثنا سعيد بن سابق، حدثنا مسلمة بن علي، عن مقاتل بن حيان عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «أنزل الله من الجنة خمسة أنهار؛ سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلغ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر

(١) جواهر الأفكار (ص:٥١٧).

مصر...» ثم عقب على ذلك بقوله: ويُجاب بأن هذا الحديث موضوع لا أصل له، ولا تحلّ روايته إلا على سبيل بيان وضعه، والعقل يشهد بأنه لا صحة له. ورواه ابن عدي في ترجمة (مسلمة) وقال: عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء. وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال أبو حاتم: لا نشتغل به»[١].

٢- عند الحديث عن إباحة ميتة البحر سواء ماتت بنفسها أو ماتت بالاصطياد قال ابن بدران: «وروي عن الحنفية، وعن الهادي والقاسم والإمام يحيى والمؤيد بالله في أحد قوليه ـ وهم من أئمة أهل البيت ـ أنه لا يحلّ إلا ما مات بسبب آدمي، أو بإلقاء الماء عنه، أو جزره عنه، وأما ما مات أو قتله حيوان غير آدمي فلا يحلّ، واستدلوا بحديث أبي الزبير عن جابر مرفوعًا بلفظ: «**ما ألقاه البحر، أو زجر عنه فكلوه، وما مات فيه وطفا فلا تأكلوه**»[٢] أخرجه أبوداود مرفوعًا من رواية يحيى بن سليم الطائفي عن أبي الزبير عن جابر، وقد أسند من وجه آخر عن ابن أبي ذئب عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا. وقال الترمذي:سألت البخاري عنه فقال: ليس بمحفوظ، ويروى من جابر خلافه» انتهى.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٢٣، ١٢٤)، ويراجع في ترجمة مسلمة: المقتنى في سرد الكنى (١/ ٢٧٢) وأحوال الرجال (١/ ١٦٣) والمغني في الضعفاء (٢/ ٦٥٧) والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ١٢٠) والضعفاء والمتروكين للنسائي (١/ ٩٧) والكامل في الضعفاء (٦/ ٣١٣).

(٢) رواه أبوداود (٣/ ٣٥٨) وابن ماجه (٢/ ١٠٨١).

ويحيى بن سليم[١] صدوق سيىء الحفظ، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال يعقوب: إذا حدّث من كتابه فحديثه حسن، وإذا حدث حفظًا ففي حديثه ما يعرف وينكر، وقال أبو حاتم: ليس بالحافظ. وقال ابن حبان في (الثقات): كان يخطيء. وقد توبع على رفعه، أخرجه الدار قطني[٢] من رواية أبي أحمد الزبيري عن الثوري مرفوعًا. ولكن قال: خالفه وكيع وغيره، فوقفوه على الثوري وهو الصواب.

وروي عن ابن أبي ذئب، وإسماعيل بن أمية مرفوعًا ولا يصح، والصحيح أنه موقوف.

قال الحافظ ابن حجر[٣]: وإذا لم يصحّ إلا موقوفًا فقد عارضه ما ذكره البخاري عن أبي بكر، أنه قال: الطافي حلال.

وقال أبو داود[٤]: روى هذا الحديث سفيان الثوري، وأيوب وحماد عن أبي الزبير، أوقفوه على جابر.

قال الحافظ المنذري: وقد أسند هذا الحديث من وجه ضعيف، وأخرجه ابن ماجه»[٥].

---

(١) انظر: من تكلم فيه (١/ ١٩٥)، والجرح والتعديل (٩/ ١٥٦)، والمغني في الضعفاء (٢/ ٧٣٧)، والضعفاء والمتروكين (٣/ ١٩٦).

(٢) أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٦٨).

(٣) عون المعبود (١٠/ ٢١٠).

(٤) سنن أبي داود (٣/ ٣٥٨).

(٥) جواهر الأفكار (ص:٤٥٥، ٤٥٦). وانظر كلامه عن الجرح والتعديل في المواضع التالية: (ص:٣٨٠، ٤٠٩، ٤٨٣).

المبحث الرابع: مآخذ على ابن بدران في الحديث:

هناك بعض المآخذ اليسيرة على ابن بدران يمكن حصرها في النقاط التالية:

أولاً: إيراده بعض الأحاديث دون الإشارة إلى مصادرها من كتب السنة ولا إلى رواتها من الصحابة ولا الإشارة إلى صحتها من ضعفها، ـ وإن كان غالب ما رواه كذلك تميز بالصحة ـ ومن الأمثلة على ذلك:

١- حديث: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحاكم**»[(١)].

٢- حديث: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(٢)].

٣- حديث: «**والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»[(٣)].

٤- حديث: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله**»[(٤)].

ثانيًا: عدم تفسير القرآن بالسنة في مواضع مهمة:

وهنا مثالان:

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٤٦). والحديث أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤) والترمذي (٤/ ٣٥١) والحاكم (٤/ ١٧٨).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٥٠). والحديث أخرجه البخاري (٢/ ٦١٩) ومسلم (١/ ٨١).

(٣) جواهر الأفكار (ص:٢٥٢). والحديث أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٠).

(٤) جواهر الأفكار (ص:٢٧٥). ولمزيد من النماذج انظر الصفحات التالية: (٢٨٩، ٣٦٠، ٤٦٦، ٤٦٧). وقد أشار محقق كتاب: جواهر الأفكار إلى هذا المأخذ في مقدمته. والحديث أخرجه البخاري (١/ ٢٨) ومسلم (٣/ ١٢١٩).

فقد فسّر النبيّ ﷺ المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى، وروى أئمة التفسير في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ، وقد ذكر الإمام ابن كثير هذه الأحاديث في تفسيره، وبعد أن رواها نقل عن ابن أبي حاتم قوله: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا.

قال ابن كثير: وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون الحديث المتقدّم...»[1].

ومع كل هذه الروايات والأقوال التي ذكرها الأئمة عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين فقد أهمل ابن بدران ذلك كله وفسر الآية تفسيرًا مغايرًا حيث رأى أن المغضوب عليهم هم جنس الكفار، وأن الضالين هم المنافقون، ولو لجأ إلى الأثر ـ كعادته ـ لنجا من هذه المخالفة لجمهور المفسرين[2].

والمثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨]، قال ابن بدران: «وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه، وهو لفظ الحطة، فجاؤوا بلفظ آخر، لأنهم لو جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به، لم يؤاخذوا به، كما لو قالوا مكان حطة: نستغفرك ونتوب إليك، أو اللهم اعف عنا، وما أشبه ذلك»، وهذا الذي قاله مخالف لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدّلوا**

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٤، ٤٥).
(٢) انظر جواهر الأفكار (ص:٤٥، ٤٦).

وقالوا حِطَّة، حبةٌ في شعرةٍ»[١]، فهذا الحديث يدلّ على أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ: «الحطة» فجاؤوا بلفظ آخر، ولعل ابن بدران لم يصله هذا الحديث.

ثالثًا: طعنه على عكرمة مولى ابن عباس:

وهذا أيضًا مما أخطأ فيه ابن بدران، فقد ذكر حديثًا فيه عكرمة فقال: «وأما عكرمة فمجهول هنا، فإن كان هو مولى ابن عباس، فقد تكلم فيه علماء الجرح والتعديل لقوله بالرأي»[٣]، والصواب أن عكرمة مولى ابن عباس «ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة» كما ذكر ابن حجر[٤]، وقال عنه الذهبي: «العلاّمة الحافظ المفسِّر»[٥]، وقد احتج به البخاري في صحيحه.

***

(١) أخرجه البخاري رقم (٣/ ١٢٤٨) ومسلم (٢٣١٢).
(٣) جواهر الأفكار (ص:١٢٤).
(٤) تقريب التهذيب (ص:٣٩٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢).

الفصل الرابع:

أسباب النزول في تفسير ابن بدران

تمهيد:

كان ابن بدران على دراية بأهمية أسباب النزول في فهم معاني كثير من الآيات ولذلك فقد ذكر جملة من الآثار الواردة في أسباب نزول بعض الآيات واعتمد عليها في تفسير تلك الآيات وتقرير معانيها.

ومما يدلّ على أهمية أسباب النزول ما قاله الواحدي عنها: «إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومعرف سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب، يورث العلم بالمسبب»[٢]، وقال السيوطي: «لمعرفة أسباب النزول فوائد، وأخطأ من قال: لا فائدة له، لجريانه مجرى التاريخ. ومن فوائده: ا لوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال»[٣].

وعلى الرغم من هذه الأهمية لأسباب النزول إلا أن ابن بدران لم يشحن كتابه بذكر كل ما نُقل في أسباب النزول، بل كان ينتقي الصحيح منها، والذي لا شطط فيه ولا تناقض بشرط أن يكون موافقًا لسوابق الآية ولواحقها.

---

(١) أسباب النزول: (ص:٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٩) وشرح مقدمة التفسير (ص:٤٦).

(٣) أسباب النزول (ص:١٢).

وقد بين ابن بدران منهجه في أسباب النزول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، بقوله: «اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات اختلافًا كثيرًا على عادتهم في هذه الآية وغيرها، وأكثر ما يذكرونه في أسباب النزول متعارض وضعيف الإسناد، فلا ينبغي أن يُقبل منه إلا ما صحّ، وقد صنف الواحدي وغيره في ذلك كتبًا لا يُعوّل على ما ذكروه فيها إلا على الصحيح منه[١].

وذكر في موضع آخر أن أسباب النزول لم يصحّ منها إلا النزر اليسير[٢].

ويمكن دراسة منهج ابن بدران في الاستفادة من أسباب النزول من خلال المباحث التالية:

المبحث الأوّل: الاعتماد على الصحيح من الروايات وترك ما سواها:

وقد ظهر ذلك واضحًا في أغلب الروايات التي ذكرها في أسباب النزول ومن أمثلة ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]، ذكر ابن بدران الخلاف في أسباب نزول هذه الآية وأورد الروايات في ذلك واعتمد الصحيح منها وقد تقدم ذكر ذلك عند الكلام عن السنة النبوية في تفسير ابن بدران[٣].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٢٤).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٣١٩).
(٣) انظر (ص: ٣٦) من هذا البحث.

٢- عند قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢]، قال ابن بدران: «وسبب نزول هذه الآية ما أخرجه البخاري في الصحيح عن البراء بن عازب قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤]. فقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[(١)].

٣- عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨]. قال ابن بدران: «هذا وقد روي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عاصم الأحول، قال: سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة فقال: كانا من شعائر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ الآية. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[(٢)].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٦٩، ٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٩٤) ومسلم (٢/ ٩٣٠) والترمذي (٥/ ٢٠٩) ويلاحظ أن ابن بدران نسب الأثر إلى أنس بن سيرين والصواب أنس بن مالك، كما أنه قال: «كانا من شعار الجاهلية»، والمثبت في البخاري ومسلم والترمذي: «شعائر» واجتزأ ابن بدران الآية واكتفى منها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾، ولم يورد ما ورد منها في حديث البخاري ومسلم والترمذي وهو ما أثبته.

وروى الحاكم وصححه وابن مردويه عن عائشة قالت: «نزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا في الجاهلية إذا أحرموا لا يحل لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما قدمنا المدينة ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾. ورواه الطبراني في (الأوسط) عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه[1].

ورواه عنه بنحوه أيضًا ابن جرير وابن أبي داود في "المصاحف" وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.

ورواه ابن جرير عن ابن عمر»[2].

٤- عند قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة:١٨٩]، قال ابن بدران: روى البخاري في كتاب (التفسير) من صحيحه عن البراء بن عازب قال: كان العرب غير الحمس، وهم قريش إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[3].

المبحث الثاني: قبول الروايات التي لا شطط فيها ولا تناقض:

هناك بعض الآثار المتعلقة بأسباب النزول، لم يذكر ابن بدران صحتها، ومع ذلك قبلها وأوردها في كتابه لخلوها من الشطط والتناقض وتناسبها مع سياق الآيات ومن ذلك:

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٧) والطبراني في الأوسط (٨/ ١٧٨).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٠٦).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٥٢٨).

١- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦].

قال ابن بدران: «وسبب نزولها أن اليهود لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت:٤١] قالوا: أيّ قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله المثل بهما، وكذلك طعن المنافقون في ضرب الأمثال بالنار والظلمات والرعد والبرق، في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]. وطعن المشركون أيضًا كما طعن المنافقون، فأنزل الله هذه الآية[(١)].

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

ذكر ابن بدران قول ابن عباس في سبب نزول هذه الآية، وهو ما رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم أن عبد الله بن صوريا الأعور قال لرسول الله ﷺ ولأصحابه: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٢)].

٣- عند قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠].

قال ابن بدرا ن: «وسبب نزول هذه الآية كما قال الأصم: أنهم كانوا

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٢٩، ١٣٠)، وانظر: أسباب النزول (ص:٢٣)، والعجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٤٥).

(٢) انظر جواهر الأفكار (ص:٣٥٦)، وانظر: أسباب النزول (ص:٤١)، والعُجاب (١/ ٣٨٠).

يوصون للأبعدين طلبًا للفخر والشرف، ويتركون الأقارب في الفقر والمسكنة، فأوجب الله تعالى في أول الإسلام الوصية لهؤلاء، منعًا للقوم عما كانوا اعتادوه، وهذا بيّن»[1].

المبحث الثالث: الترجيح عند تعدد الروايات في أسباب النزول:

كان ابن بدران غالبًا ما يُرجح عند تعدد أسباب نزول الآية الواحدة، وقد يورد تعدد أسباب النزول بغير ترجيح، فمثال الأول:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة:١١٤].

قال ابن بدران: «اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية، فقيل: إنها نزلت في (نطوس بن إسبسيانوس) الرومي الذي خرّب بيت المقدس، ولم يزل خرابًا إلى أن عمِّر في زمن عمر بن الخطاب.

وقيل: نزلت في الروم الذين أعانوا (بختنصّر) على تخريب بيت المقدس حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكريا.

وقيل: نزلت في بختنصّر ذاته.

واختار ابن جرير أنها نزلت في النصارى، وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس.

وعندي أن هذه الأقوال كلّها سرت من اليهود، أما كونها نزلت في النصارى أو بختنصّر، فذلك غلط كما صرح به أبو بكر الرازي في كتابه

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٨٢).

(أحكام القرآن)؛ لأنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل، والنصارى كانوا بعد المسيح، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، وأيضًا فإن النصارى يعتقدون تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود وأكثر، فكيف أعانوا على تخريبه، ومن هذا يعلم الخطأ في بقية الأقوال»[1]، ثم ذكر ابن بدران الراجح عنده في ذلك.

هذا مع التأكيد على أن عبارة: نزلت هذه الآية في كذا. لا تعني بالضرورة أن قائلها يقصد أن تلك الحادثة كانت سببًا للنزول كما قال.

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، ذكر ابن بدران اختلاف الروايات في ذلك، ورجح منها ما صح سنده وضعّف الباقي، وقد قدمنا ذكر ذلك عند الحديث عن السنة في تفسير ابن بدران[2].

٣- عند قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة:١٤٤].

ذكر ابن بدران الروايات الواردة في أسباب نزول هذه الآية مع حكمه على بعضها بالشذوذ فقال: «وفي الحديث عن البراء بن عازب قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحب أن يوجّه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ

(١) جواهر الأفكار (ص:٣١٨، ٣١٩)، وانظر: أسباب النزول (ص:٤١)، والعُجاب (١/ ٣٥٩).

(٢) انظر (ص: ٣٦) من هذا البحث.

فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية. وكان يحب ذلك.. الحديث. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه سفيان الثوري. انتهى.

ورواه ابن ماجه أيضًا عن البراء، ولفظه: قال البراء: صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرًا، وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخوله المدينة بشهرين، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى إلى بيت المقدس أكثر تقلب وجهه في السماء، وعلم الله من قلب نبيّه أنه يهوى الكعبة، فصعد جبريل، فجعل رسول الله ﷺ يتبعه بصره، وهو يصعد بين السماء والأرض؛ ينظر ما يأتيه به، فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية... الحديث».

ثم قال ابن بدران: «وهذا الحديث رواه الترمذي وإسحاق وابن ماجه عن أبي إسحاق، عن البراء. وأبو إسحاق معدود في المدلسين، لكن قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب (الإيمان) من شرحه على (البخاري): قد جاء سماع أبي إسحاق عن البراء في غير هذا الحديث، فلا ضعف فيه من تدليس أبي إسحاق» انتهى.

قلت: وإلى هذه النكتة أشار الترمذي إلى حسن هذا الحديث وصحته.

ورواية ابن ماجه حكم عليها الحافظ بالشذوذ، وبيانه: أن قوله: صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس، إلى آخره، يدلّ على أنه صرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخوله المدينة بثمانية عشر شهرًا؛ وقوله: وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخوله المدينة بشهرين يدل على خلاف ما أفادته الجملة الأولى، وذلك لأن صلاة البراء مع رسول الله ﷺ كانت بعد دخول

رسول الله ﷺ المدينة... وبالجملة فهذه رواية شاذة مخالفة للروايات المشهورة في حديث البراء، فليس منها الجملة الثانية أصلًا.. وحديث الترمذي أخرجه البخاري ومسلم والنسائي»[(١)].

٤- عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤]، قال ابن بدران: «قيل إن هذه الآية نزلت في قتلى بدر.

وقيل: إن الكفار والمنافقين قالوا: إن الناس يقتلون أنفسهم طلبًا لمرضاة محمدٍ من غير فائدة، فنزلت.

والصحيح عندي أن هذه الآية مرتبطة بما قبلها، وبينهما التناسب الذي ذكرنا، فإن صحَّ سبب نزولها، فهو عارض لا أصلي»[(٢)].

وهناك مثال واحد ذكر فيه ابن بدران الاختلاف في أسباب النزول دون أن يرجح شيئًا من الروايات فعند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧]. ذكر ابن بدران في هذه الآية سببين لنزولها:

الأول: أنها نزلت بعد محاورة جرت بين اليهود وبين رسول الله ﷺ[(٣)].

والثاني: أن سبب نزولها محاورة وقعت بين اليهود وبين عمر بن

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٧٩، ٣٨٠)، وانظر: أسباب النزول (ص:٤٢)، والعُجاب (١/ ٤٠٣).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٩٧) وانظر: أسباب النزول ص(٤٤)، والعُجاب (١/ ٢٩٠).

(٣) انظر: أسباب النزول (ص:٢٩).

الخطاب رضي الله عنه[١]. ولم يرجح ابن بدران شيئًا من الروايتين.

المبحث الرابع: تطبيق قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

وهذه القاعدة صرح بها ابن بدران في كثير من المواضع من تفسيره، وأعملها حتى في الآيات التي صحت فيها الروايات الواردة في أسباب النزول، ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١].

قال ابن بدران: «فإن قيل: هذه الآية وردت بحق اليهود، قلنا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[٢].

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة:١١٤].

ذكر ابن بدران اختلاف المفسرين في أسباب نزول هذه الآية، ورجح القول الذي رآه ثم قال: «والذي يقوي هذا التفسير أن ظاهر الآية العموم في كل مانعٍ، وفي كلّ مسجد، والعموم وإن كان سبب نزوله خاصًّا، فالعبرة به لا بخصوص السبب، وذلك بناء على صحة السبب والقطع به، كيف وأسباب النزول لم يصحّ منها إلا النزر اليسير؟»[٣].

---

(١) انظر: أسباب النزول (ص:٣٠).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٤١).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣١٩).

٣- عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨].

قال ابن بدران: «قال البيضاوي: نزلت هذه الآية في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس»[١] انتهى.

والمشهور عند المفسرين أنها نزلت في ثقيف وخزاعة، وعامر بن أبي صعصعة، حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرموا البحيرة والسوائب والوصيلة والحام.

وأيًّا ما كان سبب نزولها، فهو خاص واللفظ عام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن ثم قال الحسن البصري: نزلت في كلّ من حرم على نفسه شيئًا لم يحرمه الله عليه»[٢] انتهى.

٤- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة:١٧٤].

قال ابن بدران: «روى ابن جرير عن قتادة أن هذه الآية مراد بها أهل الكتاب.. وروى مثل ذلك عن الربيع والسدي وعكرمة، وهذا وإن كان كذلك إلا أن خطاب النبي ﷺ به يشعر بوقوع ذلك من طائفة من أمته حرصًا على الدنيا، كما يقع من بعض المتأولين لكتاب الله وسنة رسوله، ليجعلونها مستندًا لبدعتهم، وجلب حطام الدنيا،ويكتمون معنى ما أنزل الله إليهم من ربهم.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (١/ ٩٩).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٤٠).

فالأولى أن يقال: نزلت هذه الآية في كلّ كاتم حق، لأخذ عرض، أو إقامة غرض، من مؤمن ويهودي، ومشرك ومعطّل، وإن صحَّ سبب النزول، فهي عامة، والحكم للعموم وإن كان السبب خاصًّا، فيتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختارًا لذلك لسبب دنيا يصيبها»[1].

* * *

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٦٣).

الفصل الخامس:

موقف ابن بدران من الإسرائيليات

تمهيد:

كان موقف ابن بدران واضحًا في رفضه الروايات الإسرائيلية التي ذكرها المفسرون في كتبهم دون التنبيه على بطلانها، وبخاصة تلك الروايات التي فيها من الغرائب والعجائب والخرافات ما لا يصدّقه عقل، أو يقر به نظر صحيح، ومن ثم أنكر ابن بدران على أولئك المفسرين الذين أفسحوا المجال لتلك الروايات دون نقد أو تمحيص.

قال ابن بدران: «ثم إن الإسرائيليين ـ لغلظ أكبادهم ـ أخذوا تلك الخرافات على حقيقتها، ودسوها في أول الملة الإسلامية، فأخذت عنهم على سبيل الحقيقة، وأودعها المؤلفون كتبهم بأسانيد متصلة إلى كعب ووهب وغيرهما، وجعلوها في كتب تفسير كتاب الله تعالى، غير منبهين على مقاصدها، فعلق الناس بها وجعلوها من جملة الآثار، وفطن لها بعض المحققين من علماء هذه الملة، فزيفوها وبينوا المقاصد منها»[1].

ويمكن استعراض موقف ابن بدران من الإسرائيليات من خلال المباحث التالية:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٩٢، ٢٩٣).

المبحث الأول: ردّه بعض الأخبار لعدم ثبوتها:

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩].

قال ابن بدران: «ها هنا أقوال للمفسرين ينقلها بعضهم عن السلف، وقد شحنوا بها كتبهم، لا ينبغي لعاقل أن يعوّل عليها، مثل قولهم فيما حكاه ابن جرير، وتبعه كثير ممن ينقل الكلام على علاته: إن الله خلق الأرض على حوت، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ هو الحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح. وكقولهم: إن الأرض على قرن ثور، وليس في شيء من هذا ما صحَّ نقله عن السلف، وإنما يعدُّ من كلام الإسرائيليين، دسوه فيما بين القوم، ليجد الضالّ مطعنًا على السلف»[(١)].

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥].

قال ابن بدران: «هذا وقد اختلف المفسرون في تعيين الشجرة، فمن قائلٍ: إنها شجرة البر، وقيل: هي الكرمة، وقيل: هي التينة، والصحيح أنه لم يرد تعيينها في أثر يعوّل عليه، ولا ورد تعيينها في الكتاب العزيز، ولا داعي لبيان نوعها، لأن سياق القصة لبيان شئوم المخالفة»[(٢)].

(١) جواهر الأفكار (ص:١٥٠، ١٥١).
(٢) جواهر الأفكار (ص:١٧٣).

وقال أيضًا: «وللمفسرين هنا مسالك في كيفية خلق حواء، وفي كيفية إدخاله الجنة، وفي غير ذلك، وكلها مأخوذة عن الإسرائيليات والله أعلم بصحتها، منها ما يروونه عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من الصحابة... وإذا تأملت الحكايات التي ينقلها المفسرون من هذا النمط وأمثاله، وجدت أكثرها في التوراة، أو هي من كلام كعب الأحبار، أو هب بن منبه، ولا يثبت منها شيء عن النبي ﷺ.

ومما يلحق بهذا البحث اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه السلام، وأهبط منها؛ هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها في موضع عالٍ من الأرض. وقد قال بالأول طائفة من العلماء، ورجح منذر بن سعيد في تفسيره الثاني... وقد أطال الحافظ ابن القيم الكلام في هذه المسألة، وذكر حجج القائلين، ومالها وما عليها بإطناب يطول بيانه، وأودع ذلك كتابه (حادي الأرواح)[1].

وحكى الخلاف أيضًا ابن الخطيب المعروف بالفخر الرازي في تفسيره، وختمه بقوله: «إن الكلَّ ممكن، والأدلة النقلية ضعيفة ومتعارضة، فوجب التوقف وترك القطع»[2] انتهى. والحق في ذلك مع ابن الخطيب»[3].

وإلحاق ابن بدران لمبحث تعيين الجنة التي أسكنها آدم ثم أخرج منها في باب الإسرائيليات لا وجه له، لأن هناك أدلة من الكتاب والسنة اختلفت أنظار العلماء في تحليلها وتأويلها كلّ حسب نظره واجتهاده،

(١) انظر: حادي الأرواح (ص:٥٢).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٣/ ٥).
(٣) جواهر الأفكار (ص:١٧٤، ١٧٥).

والمصيب منهم له أجران، والمخطيء له أجر واحد، وليس هذا من باب الإسرائيليات في شيء.

المبحث الثاني: استخدامه المنهج العقلي والتاريخي في رد الإسرائيليات:

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

قال ابن بدران: «وللمفسرين هنا حكايات منقولة عن الإسرائيليات، أضربنا عنها لأن العقل لا يسلّم بأكثرها، حتى إنها مخالفة للتوراة التي هي اليوم بالأيدي، وإليك إشارة إلى بعضها لتعلم مكان الباقي، وذلك أن الفخر الرازي وابن جرير الطبري وغيرهما من المولعين بنقل الإسرائيليات، حكوا أن فرعون لما أصبح صباح الليلة التي سار فيها بنو إسرائيل، دعا بشاة فذُبحت، ثم قال: لا أفرغ من أكل كبد هذه الشاة حتى يجتمع إليّ ستمائة ألف من القبط، فعلى رواية ابن جرير، لم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط[١]. وقال الرازي: قال قتادة: اجتمع إليه ألف ألف ومائتا ألف نفس، كل واحد منهم على فرس حصان[٢].

فانظر أيها العاقل المنصف إلى هذه المبالغة التي يتبرأ منها العقل، وتأمل كيف يمكن جمع هذا الجمع العظيم على خيولهم في مدة أكل كبد الشاة. وأنت تعلم أن أعظم ملوك الأرض اليوم الذي ملك فرعون بالنسبة

(١) انظر: جامع البيان (١/ ٢٧٥).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٣/ ٦٦).

إلى ملكه جزء صغير لا يقدر على جمع هذا العدد في مدة أسبوع مع وجود السفن البخارية البرية والبحرية، وانتظام الطرقات والأسلاك الناقلة للأخبار بالسرعة. وانظر أيّ برية تسع هذا الجيش، وأي طريق يمكنه السير به، وهم على أفراسهم البالغة مثل عددهم،وإذا فرضنا أن طريقًا يسعهم فانظر أين يكون أولهم وأين يصير آخرهم؟»[1].

ففي هذا النصّ يتبين رفض ابن بدران للإسرائيليات إذا تضمنت من المبالغات مالا يكاد يُصدق به العقل، غير أن وصف ابن جرير الطبري بأنه مولع بنقل الإسرائيليات مما لا يُوافق ابن بدران عليه، لأن ابن جرير الطبري يسوق الروايات بأسانيدها، ولم يزعم أن كل ما في كتابه مما صح سنده، فكان الواجب على من جاء بعده أن يدرسوا تلك الأسانيد، ويبينوا الصحيح منها والسقيم وهذا ما لم يفعله أحد إلى اليوم مما يدل على ضخامة العمل الذي قام به الطبري رحمه الله تعالى.

ثم إن هناك ملحمًا آخر وهو أن رفض الرواية لمجرد عدم قبول العقل لها ليس صوابًا، إذ العقول تتفاوت في رؤية الأمور وتقديرها، ومن لم ير أهرامات مصر لا يكاد يصدق أن هذا البناء الضخم قد شُيد منذ أكثر من خمسة آلاف عام، مع عدم وجود المعدات والآلات القادرة على رفع تلك الأحجار التي يزيد وزن الواحد منها على عدة أطنان ومع ذلك فهو بناء موجود مشاهد يراه كل أحد. على أن ابن بدران لم يجعل العقل وحده هو الحاكم على تلك الروايات بل يحشد لبطلانها مختلف الأدلة التاريخية والعقلية والسمعية.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٠١، ٢٠٢).

وابن بدران يستدل بالتوراة الموجودة على بطلان الروايات التي يعتبرها إسرائيلية كما أشار في النصّ السابق، وقال أيضًا: «وقالوا أيضًا: إن بني إسرائيل كانوا يؤمئذٍ ستمائة ألف، لأنهم كانوا اثني عشر سبطًا، كل سبط خمسون ألفًا، وهذا أيضًا بعيد التصديق إذا رجحنا ما قاله ابن خلدون: من أن الذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء، على ما ذكره المحققون. وقال المسعودي: دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط، وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نفسًا، وكان مقامهم إلى أن خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام إلى التيه مائتين وعشرين سنة، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة، يبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد» انتهى.

وكذلك إذا اعتبرنا نسخة التوراة التي بأيدينا اليوم فإنها تقول: وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة، كان الأمر بعيدًا أيضًا، ولا يتشعب النسل في هذه المدة إلى هذا العدد، اللهم إلا إلى المئين والآلاف، فربما يكون، وأما أن يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد، واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف، تجد هذا الزعم كاذبًا والنقل باطلًا. وكذلك نجد لقومنا من الغلو في الحكايات الإسرائيلية ما ليس عند الإسرائيلين أنفسهم»[1].

٢- ومن أمثلة استخدام ابن بدران للمنهج التاريخي في نقض الروايات الإسرائيلية ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤].

(١) جواهر الأفكار (ص: ٢٠٢).

فبعد أن ذكر اختلاف الأقوال في أسباب نزول هذه الآية على ما قدمناه في مبحث أسباب النزول قال: «وعندي أن هذه الأقوال كلها سرت من اليهود، أما كونها نزلت في النصارى أو بختنصّر فذلك غلط كما صرح به أبو بكر الرازي في كتابه (أحكام القرآن)؛ لأنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل، والنصارى كانوا بعد المسيح فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس؟...»[1].

٣- وإذا كان ابن بدران يقف هذا الموقف الحازم من الروايات التي تتصادم مع العقل ومع وقائع التاريخ، فإنه لا يجد حرجًا من أن ينقل عن التوراة شريطة أن لا تكون هناك مبالغات مردودة، فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٥١].

قال ابن بدران: «لمّا خرج موسى عليه السلام، وصار عند جبل سيناء بعد أن حارب (عماليق) وانتصر عليه، جلس يومًا ليقضي بين الناس، فمكث من الصباح إلى المساء، والناس أمامه وقوفًا... إلخ»، ثم قال ابن بدران: هذا ما يؤخذ من التوراة التي بين أيدينا.

***

(١) جواهر الأفكار (ص:٣١٨، ٣١٩).

الفصل السادس:

تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين عند ابن بدران

تمهيد:

سأتناول في هذا التمهيد أمرين:

أولاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة عند ابن بدران:

لا شك أن صحابة رسول الله ﷺ هم أعلم الأمة بألفاظ ومعاني كتاب الله تعالى بعد رسول الله ﷺ، لأنهم الذي تلقوا العلم ـ ومنه التفسير ـ عن رسول الله ﷺ، وهم الذين عاصروا نزول الوحي وعلموا أسباب النزول والأحكام التي نزل بها كتاب الله تعالى.

ومن هنا رجع العلماء إلى تفسير الصحابة واعتمدوه وبخاصة إذا لم يجدوا التفسير في الكتاب أو السنة، قال ابن كثير رحمه الله: «... وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختُصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة ـ الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المهتدين ـ وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه... ومنهم الحبر، عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن»[1].

أما ابن بدران فيوافق ذلك ويرى اعتماد كلام الصحابة في التفسير

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٩).

بشرط صحة السند إليهم وفي ذلك يقول: «وحيث اختلفت الأقوال فالمرجع إلى ما صحَّ سنده من كلام رسول الله ﷺ أو من كلام أصحابه رضوان الله عليهم»[١]، ولكن من الناحية العملية تعامل ابن بدران مع أقوال الصحابة كسائر الأقوال، فلم يدرس أسانيدها، ولم يبين الصحيح لديه من الضعيف على ما سنبينه في الصفحات التالية.

ثانيًا: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

التابعون هم تلامذة الصحابة الذين عاصروهم ونهلوا من معين علومهم الصافي، ولذلك رجع كثير من الأئمة إلى أقوالهم في التفسير واعتمدوها. قال ابن كثير رحمه الله: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير.. ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به؛ وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح،والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية،والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم،وغيرهم من التابعين»[٢].

أما عن حجية تفسير التابعين فقد قال شعبة بن الحجاج: «أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟»، وعلّق ابن كثير على هذا الرأي بقوله: «يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٤٢).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٩).

خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك»[1].

ويبدو أن ابن بدران يوافق الرأي القائل بأن تفسير التابعين ليس بحجة لأنه لم يذكره في القول الذي نقلناه عنه آنفًا، وإنما اكتفى بالرجوع إلى ما صحَّ سنده من السنة أو من أقوال الصحابة. أما الإجماع فهو حجة بذاته سواء أكان من الصحابة أو التابعين، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

وقد ذكر ابن بدران في تفسيره طائفة من أقوال التابعين، قبل كثيرًا منها، وردَّ بعضها، ورجح بينها عند الخلاف أو جمع بينها إن أمكن الجمع والتوفيق.

ويمكن تلمس منهج ابن بدران في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: ذكر اختلاف الأقوال مع الجمع بينها أو الترجيح بينها غالبًا:

يرى ابن بدران أنه إن أمكن الجمع بين الأقوال كان أولى من ترجيح أحد هذه الأقوال على غيره، ومثال ذلك ما قاله عند قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:١٧٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١١).

فقد ذكر في هذه الآية ثلاثة أقوال:

الأول: أنها نزلت في المؤمنين.

الثاني: أنها نزلت في اليهود والنصارى.

الثالث: أنها نزلت في الفريقين ثم قال: «وهذا القول كأنه جمع بين القولين، وعليه فالآية عامة للفريقين، وهو أولى ما تفسَّر به».

ألا أن ابن بدران كان يلجأ إلى الترجيح بين الأقوال إذا لم يجد للجمع بينها مجالًا ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦].

قال ابن بدران: وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ عطف على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، والمعنى: وأرزق من كفر، فأمتعه قليلًا، لأني أرزق البرَّ والفاجر. قال أبيٌّ بن كعب: هو قول الربّ جلَّ ذكره.

وروي عن ابن عباس أنه من قول إبراهيم عليه السلام.

والصواب من التأويل قول أبي رضي الله عنه»[1].

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

قال ابن بدران: ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٤٤).

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وفي المعنى الذي وقع فيه التشبيه من فرض صومنا وصوم الذين من قبلنا؟

فقال بعضهم: إن التشبيه يعود إلى وقت الصوم، وإلى قدره الذي هو لازم لنا اليوم فرضه، وهو قول الشعبي، وهو ضعيف، لأن تشبيه الشيء بالشيء يقتضي استواءهما في أمر من الأمور، فأما أن يقال: إنه يقتضي الاستواء في كلّ الأمور فلا.

ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في (الذين من قبلنا) من هم؟

فقال السدي: هم النصارى، وبه قال الربيع.

وقال مجاهد: هم أهل الكتاب.

وقال قتادة: هم الناس كلّهم.

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: هم أهل الكتاب»[1].

المثال الثالث: عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢].

قال ابن بدران: وقوله: ﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ قيل معناه: تتبع، قاله ابن عباس. أو تدّعي أو تقرأ أو تحدّث، قاله عطاء. أو تروي، قاله يمان. أو تعمل أو تكذب، قاله أبو مسلم، وهي أقوال متقاربة، والأصح أن ﴿تَتْلُوا۟﴾ بمعنى تكذب»[2].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٩١).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٨١).

المثال الرابع: رجح قول ابن عباس على قول كثير من الصحابة في أن إبليس ـ لعنه الله ـ كان من الملائكة إذ لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود[١].

ففي هذه الأمثلة ذكر ابن بدران اختلاف الأقوال في تفسير الآية، ورجح أحد هذه الأقوال في كل مثال، ففي المثال الأول رجح قول أبيّ على قول ابن عباس، وفي المثال الثاني رجح قول مجاهد على قول قتادة والسدي والربيع مع تضعيفه قول الشعبي، وأما في المثال الثالث فقد ترك أقوال كبار الصحابة والتابعين وأخذ بقول أبي مسلم الأصفهاني المعتزلي دون أن يذكر لذلك سببًا ورجح قول ابن عباس على قول كثير من الصحابة في المثال الرابع[٢].

المبحث الثاني: ذكر اختلاف الأقوال مع اختيار قول آخر:

مما يدل على شخصية ابن بدران وتمكنه العلمي أنه كان ينقل الخلاف في بعض المواضع ويرجح رأيًا اختاره هو تاركًا أقوالًا تُنسب إلى بعض الصحابة والتابعين ومن الأمثلة على ما ذكره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [البقرة:٦٢].

حيث قال ابن بدران: اختلف المفسرون في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وسبب اختلافهم قوله تعالى في آخر الآية ﴿مَنْ ءَامَنَ

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٧٠، ١٧١).

(٢) انظر مزيدًا من الأمثلة في الصفحات التالية: (١٢٧، ٢١٥، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٦٧، ٥٢٢).

﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾. فروي عن ابن عباس أن المراد بهم من آمن قبل مبعث النبي ﷺ.

وقال سفيان الثوري ما معناه: أنه تعالى ذكر في أول السورة طريقة المنافقين، ثم طريقة اليهود، فالمراد من قوله تعالى: هم الذين يؤمنون باللسان دون القلب. وهم المنافقون، فذكر المنافقين، ثم اليهود، ثم النصارى، ثم الصابئين، فكأنه قال: هؤلاء المبطلون كل من أتى منهم بالإيمان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله.

وقال المتكلمون: المراد من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هم المؤمنون بمحمد ﷺ في الحقيقة، وهو عائد إلى الماضي..

والذي أراه الصواب من القول في هذه الجملة من الآية أن المراد من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من آمن مطلقًا سواء كان الإيمان ظاهرًا وباطنًا أم ظاهرًا فقط...»[1]، ثم فصل ابن بدران في بيان صحة هذا القول.

المبحث الثالث: ذكر اختلاف الأقوال دون ترجيح:

وهذا في أمثلة قليلة جدًّا منها:

١ - عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠]، قال ابن بدران: «قال ابن عباس: ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي الأنبياء. وقال غيره: أي الواردين في موارد قدسه، والحالّين مواطن أنسه»[2]. وهنا لم يذكر

(١) جواهر الأفكار (ص:٢١٥، ٢١٦).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٥١). وهذا القول من إشارات المتصوفة التي لا يستخدمها المفسرون من أهل السنة.

أصحاب القول الثاني، ولم يرجح بين القولين.

٢- عند قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة:١٣٦].

قال ابن بدران: «واختلف في المخاطب بتلك الآية فقيل: إنه خطاب للنبي ﷺ ولأمته، وهذا قول الحسن.

وجوّز الزمخشري أن يكون خطابًا للكافرين، أي قولوا لتكونوا على الحق، وإلا فأنتم على الباطل»[1]. ومع تناقض القولين لم يذكر ابن بدران القول الراجح منهما.

المبحث الرابع:

ردّ الروايات المكذوبة على الصحابة المخالفة للعقل والمتلقاة عن أهل الكتاب:

يرى ابن بدران أن بعض ما نسب إلى الصحابة من أقوال مكذوب عليهم فيجب تمحيصه وردّه وبيان بطلانه، وفي ذلك يقول: «... وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن الحروف المذكورة في فواتح السور عجزت العلماء عن إدراكها»، ويمكن أن يكون المروي عنه خلاف هذا من قوله: «الألف آلاء الله، واللام لطفه، والميم ملكه، شيء ابتدعه بعض القصّاصين الكذابين ونسبه إليه، لأن ابن عباس لم يفسر القرآن في صحيفة، وإنما نقله عنه جماعة ممن كانوا ملازمين له، منهم ا لثقات كمجاهد وأضرابه، ومنهم غير الثقات كما أوضحناه في المقدمة»[2].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٥٩).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٨).

وقال في موضع آخر: «ولأكثر المفسرين في هذا المقام مقالات اقتبسوها من أهل الكتاب، وأكثرها من كلام وهب بن منبه اليماني، والسدِّي وأضرابهما، والغالب أنها تأتي مرفوعة إلى ابن عباس رضي الله عنه، على أن روايتها لا تصح أصلًا، ولا تنطبق على معاني كتاب الله تعالى، فيجب اطراحها وعدم اعتبارها»[١].

بل إنه يرى أن تلك الروايات قد تكون ثابته، ولكن ربما رواها راويها على سبيل المثال إشارة إلى حكايات القدماء، فجاء من بعدهم فجعلوها أقوالًا لهم وهي ليست كذلك. قال ابن بدران في معرض حديثه عن حكاية الزهرة مع هاروت وماروت: «ويحتمل أن ابن عباس وغيره ممن رويت عنه تلك الحكايات ـ إن صحت الرواية ـ أنهم ذكروها على سبيل المثال، وحكاية رمز القدماء لعلومهم، فأخذها الراوون عنهم مسلّمة على ظاهرها، فتفطّن لذلك، ومحِّص ما يصل إليك من العلوم، وزنه بميزان العقل تظفر بالهدى»[٢].

ومن الروايات التي ردّها ابن بدران لهذا السبب ما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير الرعد والبرق والصواعق حيث رأى أنها جميعًا مأخوذة من الإسرائيليات ولذلك كثير التناقض والاختلاف بينها»[٣].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٧٩).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٩٣).
(٣) انظر: جواهر الأفكار (ص:٨٨- ٩٨).

المبحث الخامس: ردّ بعض أقوال التابعين في التفسير:

سبق أن ذكرت تضعيف ابن بدران لقول الشعبي ومن الأمثلة على ذلك أيضًا:

١- قال ابن بدران: «وقد اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ [البقرة:٦٥]، فروي عن مجاهد أنهم لم يصيروا قردة حقيقة، ولكن الله مسخ قلوبهم، بمعنى أنه طبع وختم عليها، والأولى إبقاء الآية على ظاهرها ولا يستبعد ذلك عقلًا، لأن بنية الإنسان عرضة للتبدّل»[(١)]، وابن بدران لم يذكر هنا إلا قول مجاهد مع أن قول ابن عباس هو إبقاء الآية على ظاهرها وأنهم مسخوا قردة على الحقيقة[(٢)].

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ [البقرة:١١٤].

قال ابن بدران: «ومن غريب التفسير هنا: ما رواه ابن جرير عن السدي بأن خزيهم في الدنيا: أنه إذا قام المهدي، وفتحت القسطنطينية قتلهم. وغرابته أن القسطنطينية فتحها المرحوم السلطان محمد الفاتح المشهور من بني عثمان، فإن كان هو المهدى فلا إشكال، وإن لم يكن هو فأين ما زعمه السدي؟»[(٣)].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٢١).
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٤٢، ١٤٣).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٢٢).

ثم قال: «ومن الغريب أيضًا: ما ذكره في الدرّ المنثور وغيره عن قتادة والسدي أنهما قالا: ليس في الأرض نصراني يدخل بيت المقدس إلا خائفًا. وهذا مردود، لأن بيت المقدس بقي أكثر من مائة سنة في أيدي النصارى بحيث لم يتمكن أحد من المسلمين من الدخول فيه إلا خائفًا إلى أن استخلصه الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب كما هو مذكور في تاريخه وغيره»[(١)].

ففي هذين المثالين اعتمد ابن بدران على علم التاريخ في ردّ بعض الأقوال الواردة عن بعض التابعين.

٣- عند قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨]، قال ابن بدران: «وقال السدّي: المراد من ذلك البعض: العرب، وهو قول باطل، لأن ذرية إبراهيم العرب وغيرهم، وأيضًا فإنه ليس كلّ العرب من ولد إبراهيم، ولو كان قوله صحيحًا، لكان يلزم لذلك التخصيص تعميم، ليعمّ كل العرب، ولا عموم هنا»[(٢)].

***

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٢٣).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٤٧).

الباب الثاني

التفسير بالرأي عند ابن بدران

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأوّل: اللغة في تفسير ابن بدران.

الفصل الثاني: مسائل الفقه في تفسير ابن بدران.

الفصل الثالث: مسائل العقيدة في تفسير ابن بدران.

الفصل الرابع: التفسير العلمي عند ابن بدران.

الفصل الأول:

اللغة في تفسير ابن بدران

تمهيد:

كان للغة وعلومها حضورها الواضح في تفسير ابن بدران بحيث لا تخلو آية من تناول بعض القضايا اللغوية في البلاغة أو في النحو والإعراب أو في الاشتقاق ومعرفة أصول الكلمة أو في التعريفات اللغوية أو الفروق اللغوية وغير ذلك.

وقد أشار ابن بدران إلى أهمية معرفة اللغة التي نزل بها القرآن وتفسير القرآن بمقتضاها فقال: «وإذا تحققت هذه المسالك، وهو أن القرآن يفسّر بعضه بعضًا، وأنه يجب تفسير مفرداته على مقتضى ما كان مصطلحًا عليه أيام نزوله من كلام العرب، علمت ما يغلط به كثير من الناس، من أنهم قد تعودوا ما اعتادوه، إما من خطاب عامتهم، وإما من خطاب علمائهم، باستعمال اللفظ في معنى، فإذا سمعوه في القرآن والحديث ظنوا أنه مستعمل في ذلك المعنى، فيحملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية، وعادتهم الحادثة، وهذا مما دخل به الغلط على طوائف، بل الواجب أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله، لا بما حدث بعد ذلك، وهذه قاعدة كبيرة من قواعد التفسير»[1].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٣٥).

وقال في موضع آخر: «ومن المحقق أن القرآن نزل بلغة العرب، وإليها يرجع في تفسيره»[١].

وقال أيضًا: «وحيث جرى الخلاف في معنى كلمة من الكتاب العزيز كان المرجع في تفسيرها إما إلى لغة العرب، وإما إلى الحقيقة الشرعية، ولا يلتفت إلى ما اصطلح عليه بعد نزول الكتاب العزيز»[٢]، ويمكن معرفة مدى عناية ابن بدران بالعربية واعتداده بها من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: بيانه للمفردات القرآنية:

أولى أبن بدران المفردات القرآنية عناية فائقة، كخطوة أولى في تفسير النص القرآني، إذ لا يمكن معرفة المعنى الإجمالي للآية دون فهم مفرداتها ولذلك أكثر ابن بدران التعريفات اللغوية لبيان معاني المفردات القرآنية، وهناك أمثلة كثيرة جدًا على ذلك منها:

١- عند تفسير سورة الفاتحة قال: «و﴿ٱلْحَمْدُ﴾ هو القول الدالّ على كون المحمود مختصًّا بفضيلة معينة، وهي فضيلة الإنعام والإحسان ويقال في حدّه: هو النعت بالجميل على الجميل...»[٣].

وقال: «و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع عالم، وهو كلّ موجود سوى الله»[٤].

وقال: «و﴿ٱلدِّينِ﴾ يطلق على الجزاء، والمكافأة، وعلى الطاعة، وعلى

(١) جواهر الأفكار (ص:١٥١).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٩٣).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٥) وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص:٢٥٦).
(٤) جواهر الأفكار (ص:٣٥) وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص:٥٨٠).

الإخضاع وعلى السياسة، ومعناها هنا: مالك يوم البعث والجزاء»[١].

٢- عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧].

قال: «وأما النار فعلى مصطلح أهل اللغة هي: جوهر لطيف مضيء حار محرق، والنور ضوؤها وضوء كلّ نير»[٢].

٣- عند قوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥].

قال: «فأتى بلفظ ﴿ٱسْكُنْ﴾ الذي هو فعل أمر من السكون وهو الهدوء في الشيء الذي في طيّه إقلاق»[٣].

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧].

قال: «و﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾: جمع قاعدة، وهي الأساس والأصل لما فوقه»[٤].

والأمثلة كما قلت كثيرة جدًّا، لا يحسن ذكرها في هذا البحث المختصر[٥].

المبحث الثاني: تفسيره للآية وفقًا للمعاني اللغوية:

وهذا مما يدلّ على عنايته بالعربية واحتجاجه بها في تفسير كلام الباري

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٧) وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص:٣٢٣).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٨٣) وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص:٨٢٧).
(٣) جواهر الأفكار (ص:١٧٢) وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص:٤١٧).
(٤) جواهر الأفكار (ص:٣٤٥) وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص:٦٧٩).
(٥) انظر على سبيل المثال لا الحصر (ص:٤١، ٤٣، ٥١، ٥٢، ٦٩، ٧٤، ٧٧، ١٢١، ١٣١، ١٦٥، ١٧١، ١٨٨، ١٩٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٩، ٣٠٠، ٣١٣، ٣٦٢، ٤٠٠، ٤٣١، ٤٣٨، ٤٩٠، ٤٩٣).

سبحانه وتعالى، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩].

اعترض ابن بدران على من جعل (السموات السبع) هي الأفلاك السبعة، وكان متمسكه في ذلك لغة العرب فقال: «ومن المحقق أن القرآن نزل بلغة العرب، وإليها يرجع في تفسيره، ولم نجد في القرآن تعدد الأفلاك بسبع، وإنما هو اصطلاح لعلماء الهيئة الأقدمين والمتقدمين كما مرَّ بك بيانه، وفرق في اللغة بين الفلك والسماء، ففي القاموس: الفلك: مدار النجوم، والجمع أفلاك، وفلك بضمتين، وموج البحر المضطرب، والماء الذي حركته الريح، والتل من الرمل حوله فضاء، وقطع من الأرض تستدير وترتفع عما حولها»[(١)] انتهى.

٢ - عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، يبين ابن بدران أن آدم عليه السلام خلقه الله تعالى في الأرض، ولم يذكر في موضع واحد أنه نقله إلى السماء، ويردّ - بمقتضى لغة العرب - على من خالف في ذلك فيقول: «وأما قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ [البقرة:٣٨]، فإنه على حدّ قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ [البقرة:٦١]، والعرب تقول: هبط فلان أرض كذا يريدون أنه نزلها. وقال ابن الأثير في (النهاية): وفي حديث الطفيل بن عمرو: وأنا أتهبط إليهم من الثنية، معناه: أنحدر، ففسَّر الهبوط بالانحدار»[(٢)].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٥١) وانظر القاموس مادة فلك (ص:١٢٢٧).

(٢) جواهر الأفكار (ص: ١٧٦، ١٧٧) وانظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٣٩).

٣- عند قوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:٨١].

بين ابن بدران أن الخطيئة هنا هي الكبيرة بدلالة اللغة فقال: «ومعلوم أن لفظ الإحاطة حقيقة في إحاطة جسم بجسم آخر، كإحاطة السور بالبلد، والكوز بالماء، وذلك هاهنا ممتنع، فيحمل حينئذٍ على ما إذا كانت السيئة كبيرة، لأنها تحيط بثواب الطاعات، فتكون كالستارة لها، وإذا أحاطت بها كانت مستولية على تلك الطاعات ومحيطة بها، فكأنه تعالى قال: بلى من كسب كبيرةً وأحاطت كبيرته بطاعته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[1].

٤- عند قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤].

استدلّ ابن بدران على أن المرض المبيح للفطر هو ما اصطلح عليه أهل اللغة بكونه مرضًا فقال: «ولما كان الفقهاء قد اختلفوا في حدّ المرض المبيح للفطر رجعنا إلى اللغة، فنقلنا قول علمائها، وإليك قولهم:

قال في العباب: «المرض: إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها» انتهى. وهو قول ابن الأعرابي وبذلك فسره صاحب القاموس.

وقال ابن دريد: «المرض: السقم، وهو نقيض الصحة، يكون للإنسان والبعير، وهو اسم للجنس» انتهى. وقوله: ﴿مَّرۡضَىٰٓ﴾ جمع مريض، ويجمع على مراضي أيضًا.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٤٠).

وقال ابن عرفة: «المرض في الأبدان: فتور الأعضاء»[١]. فعلى هذا فالمرض المبيح للفطر هو الذي يكون منه انحراف الصحة عن اعتدالها الطبيعي، فكلّ مرض كان كذلك، جاز لمن ابتلي به الفطر»[٢].

المبحث الثالث: الرجوع إلى أقوال أئمة اللغة:

ومن دلائل اهتمام ابن بدران بلغة العرب رجوعه إلى أقوال أئمة اللغة، واعتماده عليها في تحديد معاني كثير من الألفاظ، وقد رأينا في المثال السابق كيف أنه رجع إلى أقوال أئمة اللغة في بيان معنى المرض المبيح للفطر، وهناك أمثلة أخرى على ذلك منها:

١ - عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

اعتمد ابن بدران ما رآه الأخفش والكسائي فقال: «والأوجه عندي أن تكون الجملة علة لما قبلها، ومعنى (لعل) هنا: التعليل، وهذا المعنى أثبته لها جماعة منهم الأخفش والكسائي، وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤][٣].

وذكر هذا أيضًا في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٢]، فقال: «أي لأجل أن تشكروا،

(١) انظر في ذلك: القاموس مادة: (مرض) (ص:٨٤٣) وجمهرة اللغة (٢/ ٣٦٧) ولسان العرب (٧/ ٢٣١) والعباب مادة مرض.

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٩٣). وانظر مزيدًا من الأمثلة في (ص:١٧٠، ١٨٧، ٢٤٢، ٢٦٢، ٢٦٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٦٨، ٥٢١).

(٣) جواهر الأفكار (ص:٩٤) وانظر في ذلك معاني القرآن للأخفش (٢/ ٦٣١).

فـ: (لعل) معناها هنا التعليل كما قاله الأخفش والكسائي، وحملوا عليه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]، ومن لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء»[(١)].

٢- عند قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠].

نقل ابن بدران عن الكسائي الفرق بين الذِّكر بكسر الدال والذُّكر بضمها فقال: «و﴿ٱذْكُرُوا۟﴾ مأخوذ من الذكر بالكسر والضم، وهما بمعنى واحد عند كثير من النحويين،وكلاهما يكون باللسان والقلب، وفرق الكسائي بينهما فقال: ما كان بكسر الذال فهو الذِّكر باللسان، وما كان بالقلب فهو الذكر بالقلب، والذي بالقلب ضدّه النسيان، والذي باللسان ضده الصمت»[(٢)].

٣- عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣].

نقل قول الفارسي، فقال: «قال أبوعلي الفارسي في كتاب (الحجة): قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة، فضربوه به فحيي»[(٣)].

٤- وأحيانًا يذكر ابن بدران خلاف اللغويين ويذكر الراجح من أقوالهم أو يرجح قولًا آخر يراه، فعند قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٠٥).
(٢) جواهر الأفكار (ص:١٨٧) وانظر: المفردات مادة ذكر (ص:٣٢٨).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٢٢٥، ٢٢٦) وانظر: الحجة (٢/ ٨١).

﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢].

قال ابن بدران: «معطوف على شيء دلَّ عليه أول الكلام، كأنه قال: فيأبون فيتعلمون، واختار الزجاج هذا الوجه.

وقال الفراء: هو عطف على ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ والأقرب أنه معطوف على ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ المنفية لكونها موجبة في المعنى»[(١)].

المبحث الرابع: عنايته بالفروق اللغوية:

كانت عناية ابن بدران بالفروق اللغوية عناية يسيرة، ويمكن أن يكون ذلك راجعًا إلى أن القسم الذي وصلنا من تفسيره ليس كبيرًا، ومع ذلك فهناك بعض الأمثلة تدل على هذا الجانب منها:

١- تفريقه بين الشكر والحمد؛ بأن الحمد يعمُّ ما إذا وصل الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك[(٢)].

٢- وفرق بين العظيم والكبير؛ بأن العظيم نقيض الحقير، والكبير نقيض الصغير[(٣)].

٣- وفرق بين الرأفة والرحمة بما نقله عن القفال حيث جعل الرأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، والرحمة: اسم جامع

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٨٦) ولمزيد من الأمثلة انظر: (ص:١٢٨، ١٣٤، ٢٠٥، ٢٦٠، ٣٥٠، ٤٦٨، ٤٧٢) وانظر معاني القرآن للفرّاء (١/ ٦٦).

(٢) انظر جواهر الأفكار (ص:٣٤).

(٣) انظر جواهر الأفكار (ص:٦٦).

يدخل فيه هذا المعنى، ويدخل فيه الإفضال والإنعام[١].

المبحث الخامس: عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق:

إن تحديد الأصول اللغوية للمفردات، يوضح الاستعمالات المختلفة للمفردة، ويزيد في بيان معناها، ومن هنا اهتم ابن بدران بتحديد الأصول اللغوية للمفردات واشتقاقاتها، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منها:

١- في تفسير سورة الفاتحة قال: «والاسم من السمو، لأن التسمية تنويه بالمسمى، أي الارتفاع، ورفع الصوت به، ومعناه رفع المسمى عن حضيض الخفاء إلى منصة الظهور ليتجلى لأعين البصائر»[٢].

وقال: «ولفظ الجلالة مختص بالمعبود بحق، لم يطلق على غيره، قالوا: هو مشتق من (أله إلهة) بمعنى: عبد عبادة، أو من (أله) إذا تحير، لأن العقول تتحير في معرفته. أو من (ألهت إلى فلان) إذا سكنت إليه، لأن القلوب تطمئن بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته»[٣]، فذكر الاشتقاق هنا يوضح المعنى ويجلّيه.

٢- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

قال ابن بدران: «وأما قوله تعالى في سورة الكهف ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠]، فلا يوجب ألَّا يكون من الملائكة، لأن الجن مأخوذ

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٧٨) وانظر: البحر المحيط (١/ ٦٠١).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٣).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٣).

من الاجتنان وهو الستر، ولهذا سمي الجنين جنينًا لاستتاره، ومنه الجنة لكونها ساترة ومنه الجنون لاستتار العقل فيه.

ولما كان هذا معروفًا عند أهل اللغة، والملائكة مستورون عن العيون وجب إطلاق لفظ الجن عليهم بحسب اللغة»[(١)].

ففي هذا المثال استفاد ابن بدران من الاشتقاق في إطلاق لفظ: ﴿ٱلْجِنِّ﴾ على الملائكة واستخلص من ذلك أن إبليس كان من الملائكة.

٣- عند قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [البقرة:٨٧].

قال ابن بدران: «﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أصل هذا اللفظ أن يجيء الإنسان تابعًا لقفا الذي اتبعه، ثم توسع فيه حتى صار لمطلق الاتباع، وإن بعد زمن المتبوع عن زمان التابع»[(٢)].

٤- عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾. قال ابن بدران: «أصل النسخ في اللغة: إزالة الشيء بغير بدل يعقبه،نحو: نسخت الشمسُ الظلَّ، ونسخت الريح الأثر، أو نقل الشيء من غير إزالة نحو: نسخت الكتاب أي نقلت ما فيه إلى مكان آخر»[(٣)].

المبحث السادس: عنايته بالإعراب:

من المباحث اللغوية التي اعتنى بها ابن بدران في تفسيره مبحث الإعراب،

(١) جواهر الأفكار (ص:١٧١).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٥٦).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٠٠)، وانظر مزيدًا من الأمثلة في: (ص:٤٦، ٦٢، ٦٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٦٢، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٩٠، ٤٩٣).

وكان اهتمامه به لإبراز أثره في المعنى، حيث إن المعنى قد يختلف باختلاف الإعراب، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

قال ابن بدران: «وتقديم المفعول للتعظيم والاهتمام به، والدلالة على الحصر، وأطلقت الاستعانة فلم تتقيَّد بالمفعول الثاني كأن يقال: وإياك نستعين على كذا، لتتناول كلّ مستعان فيه»[(١)].

٢ - عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

قال ابن بدران: «ثم إن قراءة نصب ﴿رَيْبَ﴾ التي هي المشهور، توجب ارتفاع الريب بالكلية، لأن هذا التركيب يدلُّ على نفي الماهية، ونفي الماهية يقتضي نفي كلّ فرد من أفرادها»[(٢)].

ثم قال: «والوقف الصحيح على ﴿فِيهِ﴾ فهي خبر ﴿لَا﴾ النافية للجنس، و ﴿هُدًى﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: «هو هدى» أي أن الكتاب نفسه هدى»[(٣)].

٢ - ومما يدلُّ على علمه بالصناعة النحوية ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

حيث قال: «والمعطوف بالواو هنا يصحُّ أن يكون معطوفًا على (يكذبون) ويكون المعنى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]، وبالذي

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٠).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٥١).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٥٢).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا﴾ [البقرة:١١]، ومعناه: أن العذاب الأليم الذي وعدوا به مسبب عن كذبهم، وعن فسادهم في الأرض، لما في تينك الخصلتين من القبح الواجب على كلّ عاقل أن يحترز عنه: والصناعة النحوية لا تمنعك من عطفه على ﴿ءَامَنَّا﴾، ويكون المعنى: ومن الناس ناس إذا قيل لهم لا تفسدوا. وعلى هذا الوجه تكون الآيات على نمط تعديد قبائحهم»[(١)].

٣- عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

قال ابن بدران: «ثم إنه تعالى ختم هذا البيان بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ومعناه: وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد، والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال، والإصابة في التدابير والدعاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه.. وقد نزل تعالى: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ منزلة اللازم قصدًا إلى إثبات حقيقة في مقام المبالغة فكأنه قيل: وأنتم من أهل العلم والمعرفة. والتوبيخ فيه آكد، أي أنتم العارفون المميزون، ثم إن ما أنتم عليه من أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادًا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل.

هذا التفسير على تقدير تنزيل الفعل المتعدي منزل اللازم، ويجوز أن تجعل المفعول محذوفًا لقرينة تدلّ عليه، وتقديره: وأنتم تعلمون أنه لا يماثل، أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، أو أنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله»[(٢)].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٧٤).

(٢) جواهر الأفكار (ص:١٠٧، ١٠٨).

٤- وأشار ابن بدران إلى بعض خلافات البصريين والكوفيين في بعض التوجيهات الإعرابية كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

قال ابن بدران: «وقوله: ﴿يَٰبَنِىَّ﴾ على إضمار القول عند البصريين، أي قالا: ﴿يَٰبَنِىَّ﴾ فيكون القول محذوفًا. وعند الكوفيين يتعلق بـ: «وصى» لما فيه من معنى القول»[1].

٥- وعند قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٣٣]، تعرض ابن بدران لحكم ﴿أَمْ﴾ هل هي منقطعة متضمنة معنى «بل» ومعنى الهمزة فيها الإنكار، وهو قول السدي واختاره ابن جرير وغيره.

أم هي متصلة على أن يقدّر قبلها محذوف وهو اختيار الزمخشري.

واختار ابن بدران الأول وذكر سبب اختياره له بما يدل على تبحره في علم النحو والإعراب.

٦- وناقش ابن بدران مسألة عود الضمير في كثير من المواضع، من أكثرها بحثًا ما ذكره في ردّه على الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]. حيث جوز الزمخشري أن يكون ضمير ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ عائدًا على ﴿عَبْدِنَا﴾.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٥٢).

قال ابن بدران: «وفيما جوزه غلط من وجوه»، ثم ذكر أربعة أوجه في بيان خطأ الزمخشري مبينًا أن الضمير في ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ عائد على القرآن قطعًا[1].

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٦]، قال ابن بدران: «وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ راجع إلى الذين خلوا، والمعنى أنه عندما خلا بعضهم ببعضٍ قالوا لهم: أتحدثونهم بما يرجع وباله عليكم، وتصيرون محجوجين به، أفلا تعقلون أن ذلك لا يليق بما أنتم عليه. وقيل: إن معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ راجع للمؤمنين المخاطبين بقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾، والمعنى: أفلا يكون لكم عقل ليردكم ذلك عن تعليق الأمل بإيمانهم. وهذا الوجه وإن كان قريب المعنى، لكن الذي قبله أظهر»[2].

المبحث السابع: عنايته بالبلاغة:

تدور عناية ابن بدران بالبلاغة في إطار محاولة استجلاء روعة النصّ القرآني في جانب الفصاحة والبيان، ووصولًا إلى أنه ليس من كلام البشر ولكنه من كلام اللطيف الخبير سبحانه وتعالى.

ومن هنا تعرض ابن بدران لكثير من الأمثلة البلاغية التي أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) انظر جواهر الأفكار (ص:١١٦) وانظر قول الزمخشري في الكشاف (١/ ٩٨).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٢٣٥) وانظر أمثلة أخرى في مسألة عود الضمير (ص:٣٥٨، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٦٨، ٤٧١).

١ - عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧].

تحدث ابن بدران عن ضرب الأمثال كنوع من أنواع البلاغة فقال: «ضرب الأمثال في الكلام نوع عالٍ من أنواع البلاغة، وكلما كان المثل مطابقًا لمقتضى الحال، ارتقى الكلام رتبة في درجات البلاغة، لأن الأمثال تؤثر في القلوب، مالا يؤثره وصف الشيء في نفسه، لما فيها من تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحسّ مطابقًا للعقل. ألا ترى أن الإيمان إذا مثل بالنور يتأكد وقوعه في القلب تأكدًا لا يكون كذلك إذا ذكر مجردًا بدون تشبيه؟ وأن الكفر إذا ذكر مجردًا عن التمثيل لم ينفر القلب منه، مثل نفرته عنه إذا شبه بالظلمة؟ ولا تتأكد النفرة مثل تأكدها إذا مثّل بها. ولهذا مثل تعالى حال المنافقين في تحيّرهم وتلاعبهم وما هم عليه من الأحوال العجيبة الشأن بحالة الذي استوقد نارًا، ولما كانوا بأجمعهم متفقين على حالة واحدة ومسلك واحد من النفاق، وسالكين قانونًا واحدًا لا يتجاوزونه، عدَّ فعلهم كأنه فعل رجل واحد منهم، فمثل بحالة شخص استوقد نارًا، وهو نوع من البلاغة يعدُّ في طبقة الإعجاز»[1].

٢ - عند قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩].

تكلم ابن بدران عن أنواع من البلاغة فقال: «﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ أي أناملهم، فأطلق الكلّ وأراد البعض، على سبيل الاتساعات في اللغة، وفي ذكر الأصابع من المبالغة ما لا يوجد في الأنامل.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٨٢).

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جملة اعتراضية فائدتها التنبيه على أن الحذر من الموت لا يفيد. وإنما قال: ﴿مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مع أن المقام للضمير، فكان حق المقال أن يقال: والله محيط بهم، للدلالة على أن المشبه حالهم بحال أصحاب الصيّب كفار، ليظهر استحقاقهم شدة الأمر عليهم، وإحاطة الله بالكافرين مجاز: شبه شمول قدرته تعالى إياهم، بإحاطة المحيط بما أحاط به في امتناع الفوات على سبيل الاستعارة التبعية في الصفة التي هي محيط سارية إليها من مصدرها. ويصحّ أن يكون على سبيل الاستعارة التمثيلية بأن شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط مع المحوط...»[(١)].

وتكلم ابن بدران على الحذف في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ فقال: «وفي جملة: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ حذف، والتقدير: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها، وقد تكاثر هذا الحذف في ﴿شَآءَ﴾، و﴿أَرَادَ﴾ لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب»[(٢)].

٣- عند قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

قال ابن بدران: «ووجه اتصال ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ وفائدة اشتراطه أن يظهر من ترتيب مقدماته، وهي أنهم إذا ظهر عجزهم عن المعارضة صحّ عندهم صدق الرسول، وإذا صحَّ ذلك ثم لزموا العناد، استوجبوا العقاب

(١) جواهر الأفكار (ص: ٩٠، ٩١).
(٢) جواهر الأفكار (ص: ٩١).

بالنار، فاتقاء النار يوجب ترك العناد وهذا هو الإيجاز الذي هو أحد أبواب البلاغة، وفيه تهويل لشأن العناد وإنابة اتقاء النار منابه، متبعًا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها»[١].

٤- وتحدث ابن بدران عن سبب إدخال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢].

في ثنايا قصة بني إسرائيل فقال: «ثم إنه تعالى بعد أن أدخل هذه الآية أثناء قصة بني إسرائيل لما لها من المناسبة في هذا الموضع، ولما بها من ترويح نفس القارئ لطول قصتهم، وهذا باب من البلاغة عجيب، لأن القصة الطويلة إذا سردت سردًا ولم يتخللها معنى غريب ملَّ سامعها بخلاف ما إذا تخلّلها بيان غرائب موضوعها»[٢].

٥- وذكر ابن بدران الكناية عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٠٨]،

فقال: «وهذا كناية عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر»[٣].

٦- وذكر اللفَّ عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١١٩).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٢١٧).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٠٦).

فقال: «أي وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلفَّ بين القولين ثقةً بأن السامع يردُّ إلى كلّ فريق قوله، وأمنًا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل منهما لصاحبه»[١].

٧- وذكر ابن بدران الالتفات في عدة مواضع منها: عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١]. قال: «وفي الآية التفات إذ لو جرى على الكلام السابق لكان: إذ قلنا له أسلم»[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٤]، قال ابن بدران: «قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب، فيحتمل أن يراد به المؤمنون لقوله: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب، فيكون من باب الالتفات»[٣].

٨- وذكر ابن بدران كثيرًا من مباحث البلاغة الأخرى كالتكرار والاستغناء، والاستعارة التبعية، والترصيع، والحذف والطباق والمجاز، والتشبيه المركب والمفرق والحصر بإنما وغير ذلك مما يدلّ على شدة عنايته بالبلاغة واستجلاء جوانب الفصاحة والإعجاز في النصّ القرآني[٤].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣١٤).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٣١٥).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٨٥). وانظر (ص:٣٨٨).
(٤) انظر فيما سبق (ص:٣٨، ٦١، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٩٤، ١٣٢، ٢٢٧، ٢٦٢، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٧٨، ٤٨٨، ٤٩٦، ٥١٥، ٥٢٥).

المبحث الثامن: عنايته بالشِّعر:

استشهد ابن بدران بالشِّعر لبيان بعض معاني المفردات القرآنية أو للاستدلال على فصاحة بعض الأساليب القرآنية بدليل استخدام العرب لها في نظمهم وأشعارهم.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]، قال: «والآية متصلة بما قبلها اتصال الصفات بعضها ببعض، والصفات إذا تكررت جاز توسط العاطف بينها قال الشاعر[١]:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

فعطف الصفات بالواو»[٢].

٢- ويستدل ابن بدران بالشعر على أن الكفر في اللغة معناه الستر فيقول: «والكفر في اللغة: الستر، وأصله الفتح، ومنه قيل للزارع كافر، لأنه يستر الحبَّ في الأرض، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد:٢٠]، وسمى الليل كافرًا لأنه يستر المبصرات بظلمته، قال الشاعر[٣]:

في ليلة كفر النجومَ غمامُها

---

(١) البيت في تفسير الكشاف (١/ ١٠٢).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٥٥).

(٣) عجز بيت للبيد بن ربيعة العامري في معلقته وصدره: «يعلو طريقة متنها متواتر» انظر شرح المعلقات السبع للزوزني (ص:٨٤).

أي ستر النجوم غمامها»[١].

٣- عند قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٦٢]، استشهد ابن بدران بشعر العرب على أن معنى الضلال في اللغة هو العدول عن الطريق المستقيم، وفسّر الآية بهذا المعنى،فقال: «قال ابن السكِّيت يُقال للشيء الثابت في موضعه، إلا أنك لم تهتد إليه ضللتُه؛ قال الفرزدق[٢]:

ولقد ضللتَ أباك يدعو دارمًا كضلالِ ملتمس طريقَ وبارِ

وعليه فمعنى الآية: أن الله أورد لهم من الأمثال، ما علم كثير منهم ما هو المراد منها فاهتدى، وخفي على كثير منهم فضلَّ[٣]، ولم يهتد إلى ما هو الواجب عليه أن يعرفه»[٤].

٤- وعن قوله تعالى: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة:٣٤]، قال ابن بدران: «أي اسجدوا إليه، فيكون هو قبلة، والسجود لله، ودليله من الشعر قول حسان[٥]:

ما كنتُ أعرفُ أن الأمر منصرف

عن هاشم ثم منها عن أبي حسنِ

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٦٢).

(٢) شرح ديوان الفرزدق للصاوي (٢/ ٤٥٠).

(٣) لعل الصحيح أن يقال: وصدَّ عنها كثير منهم فضلَّ، لا أن يقال: خفي على كثير منهم؛ لأنه لو أخفى عليهم لما لزمتهم الحجة.

(٤) جواهر الأفكار (ص:١٣٤).

(٥) لم أجد هذين البيتين في ديوان حسان ﷺ.

أليس أول من صلَّى لقبلتكم
وأعرف الناس بالقرآن والسنن

فقوله: «صلى لقبلتكم» أراد به: إلى قبلتكم، وهو نصٌّ في المقصود»[١].

وهذا يدل على أهمية أشعار العرب في فهم النصّ القرآني عند ابن بدران[٢].

المبحث التاسع: عنايته بالمناسبات:

يرى ابن بدران أن آيات القرآن تتناسب بعضها مع بعض، فكلّ آية لها مناسبة بما قبلها وما بعدها، بل قال: «إن آخر كل سورة له منامبة وتعلق بأول السورة التي بعدها، وآخر سورة الناس التي هي آخر القرآن في الترتيب له مناسبة بسورة الفاتحة التي هي أوله»[٣].

وقد تكلف ابن بدران في بعض المواطن ليظهر صحة هذه النظرية، وإليك بعض الأمثلة التي تدل على عناية ابن بدران بمسألة التناسب بين آيات ومقاطع القرآن الكريم:

١ - عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، قال ابن بدران: «ولمّا وصف الله سبحانه في مفتتح السورة الذين أخلصوا دينهم الله، ووافقت فيه قلوبهم ألسنتهم، وواطأ

(١) جواهر الأفكار (ص:١٦٩).
(٢) انظر مزيدًا من الأمثلة (ص:٦٦، ٧٣، ٨٣، ٩١، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٧، ١٢١، ١٤١، ١٤٥، ٢٦٥، ٣٦٢، ٣٨٢، ٤٣٣، ٤٤٩، ٤٧٣، ٥١١، ٥١٤، ٥١٦).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٤٢).

سرّهم علنهم، وفعلهم قولهم، وثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرًا وباطنًا، قلوبًا وألسنة، ثلّث بالذين آمنوا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا...»[١].

٢- ذكر ابن بدران المناسبة بين قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة:٤١]، والتي تليها وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]، فقال: فقوله: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ أمر بترك الكفر والضلال. وقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أمر بترك الإغواء والضلال، فالمناسبة بين الآيتين ظاهرة»[٢].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، ذكر ابن بدران وجه المناسبة بين هذه الآية وبين ما قبلها فقال: «ولما كان من إمامة إبراهيم عليه السلام اتباع الناس له في حج البيت الذي شرفه الله ببنائه قال إثر ذلك ناعيًا على أهل الكتاب مخالفته وترك دينه، وموطئًا لأمر القبلة ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ...﴾ الآية»[٣].

٤- ومن المواضع التي تكلف ابن بدران في إيجاد المناسبة بينها وبين ما قبلها، ما وطّأ به القول لتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤]، حيث قال: ولمّا وصل الحق تعالى بالدعوة العامة

(١) جواهر الأفكار (ص:٦٦).
(٢) جواهر الأفكار (ص:١٩٣).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٣٨).

الأولى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ذكر أمر آدم، وافتتاح استخلافه، ليقع بذلك الناس كافة في طرفين في اجتماعهم في أب واحد ولدين واحد، نظم بذلك وصل خطاب أهل الكتب بذكر إبراهيم ليقع بذلك اجتماعهم أيضًا في أب واحد وملة واحدة، واختصاصًا بتبعية الإمامة الإبراهيمية من عموم الخلافة الآدمية، تنزيلًا للكتاب، وترفيعًا للخلق إلى علوّ اختصاص الحق...»[1]، ولا شك أن تلمس المناسبات والعلاقات بين الآيات المختلفة ليس أمرًا منصوصًا عليه، وإنما يرجع إلى اجتهاد المفسِّر ومدى تبحره وغوصه في بحار معاني الكتاب العزيز.

* * *

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٣٥) وانظر مزيدًا من الأمثلة في الصفحات التالية: (ص:٤٠، ٩٣، ١٥٣، ١٧٢، ١٩٨، ٢١٥، ٢٨٠، ٣١٢، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٧٨، ٣٩١، ٤٠٥، ٤١٥، ٤٣٩، ٤٥٠، ٤٦٧، ٤٧٧، ٥٠٦، ٥٢٥).

الفصل الثاني:

مسائل الفقه في تفسير ابن بدران

تمهيد:

اشتهر الشيخ ابن بدران بدراسة وتدريس الفقه وأصوله، وله في ذلك مصنفات كثيرة[1]، وقد أشار رحمة الله إلى أنه درَّس المذاهب المتبوعة وغير المتبوعة، فهداه ذلك إلى اختيار المذهب الحنبلي لارتباطه بالأدلة السمعية من الكتاب والسنة. قال رحمه الله: «ثم إني زججت نفسي في بحار الأصول والفروع والبحث عن الأدلة، حتى لا أكون منقادًا لكل قائد، ولا مقلدًا تقليد أعمى لمن يقوده، فإن هذه حالة لا يرضى بها الصبيان، فضلًا عمن أوتي شيئًا من العقل.

ثم سبرت المذاهب المتبوعة الآن وكثيرًا من غير المتبوعة، فوجدت كلًا منهم ـ قدس الله أسرارهم، وجعل في عليين منازلهم ـ قد اجتهد في طلب الحق، ولم يأل جهدًا في طلبه، ولا قصَّر في اجتهاده، بل قام بما عهد إليه حق القيام، ونصح الأمة، واجتنب كلَّ ما يشين.

غير أن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه كان أوسعهم معرفة بحديث رسول الله ﷺ، كما يعلم ذلك من اطلع على مسنده المشهور، وأكثرهم تتبعًا لمذاهب الصحابة والتابعين، فلذلك كان مذهبه مؤيدًا بالأدلة

(١) ومنها: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحاشية على منتهى الإرادات للبهوتي، وحاشية على أخصر المختصرات للبلباني، ونزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر لابن قدامة، وموارد الأفهام على سلسبيل عمدة الأحكام.

السمعية حتى كأنه ظهر في القرن الأول؛ لشدة اتباعه للقرآن والسنة»[١].

ومن هنا يتبين أن اختيار ابن بدران للمذهب الحنبلي كان بسبب رغبته في الاجتهاد وبحثه عن الدليل ونفوره من التقليد الأعمى، وقد صرح بذلك فقال: «لا يذهب بك الوهم مما قدمنا إلى أن الذين اختاروا مذهب أحمد وقدَّموه على غيره من الأئمة وهم من كبار أصحابه أنهم اختاروا تقليده على تقليد غيره في الفروع، فإن مثل هؤلاء يأبى ذلك مسلكهم في كتبهم ومصنفاتهم، بل المراد باختيار مذهب إنما هو السلوك في طريق الاجتهاد مسلكه دون مسلك غيره... وأما التقليد في الفروع فإنه يترفع عنه كل من له ذكاء وفطنة وقدرة على تأليف الدليل ومعرفته. وما التقليد إلا للضعفاء الجامدين الذين لا يفرقون بين الغث والسمين»[٢].

فنحن إذن أمام فقيه مجتهد في الفقه وأصوله وإن كان منتسبًا إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. فهل ظهر ذلك أثناء تناول ابن بدران لمسائل الفقه في تفسيره، أم أنه خالف التوجه الاجتهادي وكان مجرد ناقل لأقوال أرباب المذاهب؟ هذا ما سأحاول بيانه من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: حملة ابن بدران على المقلدة:

شن ابن بدران حملة ـ بل حملات ـ شديدة على التقليد وأهله في مواضع كثيرة من تفسيره، وكان أحيانًا يُغْرب في استنباط ما يدل على كراهة التقليد من بعض الآيات.

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (ص: ٤).
(٢) المدخل (ص: ٤٠).

ومن كلام ابن بدران في ذمّ التقليد: «... ولا يتنبه إلى الحقائق إلا من خلع ربقة التقليد من عنقه، وأطاع البراهين والحجج الدامغة، فكان مع الحق يدور معه حيثما دار، وهناك يتبين العاقل من الجاهل وتختبر العقول ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي نظروا فيما نصبه الله تعالى من البراهين في أنفسهم وفي الآفاق فصدّقوا الله ورسوله ﴿فَيَعْلَمُونَ﴾ أي فيعرفون أن المثل الذي ضربه الله تعالى لما ضربه، هو الحق من ربهم، ويذعنون للحقيقة، وينكشف به الغطاء عن بصائرهم ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي جحدوا آيات الله كفرًا وعنادًا كالمنافقين، أو تقليدًا لسلفهم كالمشركين، أو غلطًا في تأويل كتابهم وتقليدًا لمن سلف منهم كأهل الكتاب، فأولئك حجبهم ما هم فيه عن اتباع الحق وحملهم على أن يقولوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦]»[1].

وقال في موضع آخر: «﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:٣١]، فكان ما كان من أمرهم، فأقنعهم البرهان، إلا واحدًا وهو إبليس. وقد قصَّ الله علينا هذه القصة لنعتبر بها، فلا نرضى بالدون من المقامات، ولا نقف موقف الجمود، بل نطلب الرقيَّ دائمًا في العقل والأفكار والأعمال والعلوم والمعارف، وأن نطلب البرهان الحقيقي حتى إذا لاح لنا نتبع نتائجه، ولا نكابر شططًا وغلطًا... ألا يُرى أن كثيرًا من المشركين كانوا يعلمون أن هذا الكتاب معجز، وأن من أنزل عليه صادق في دعواه، ثم لا يؤمنون به كبرًا وعنادًا، مقتدين برئيسهم إبليس حين استكبر عن السجود لآدم وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن

(١) جواهر الأفكار (ص:١٣٢).

طِينٍ﴾ [ص:٧٦]. فالمقلّد الذي لا يعير البرهان آذانًا صاغية لا يسلم غالبًا من العثار والتدهور في مهاوي الغلط وارتكاب الشطط»[١].

وكان ابن بدران على دراية بأن كلَّ أحدٍ لا يستطيع الاجتهاد ومن ثم حدّد من يجوز له الاجتهاد ممن لا يجوز له ذلك فقال: «وقد جعل العلماء للمقلد في الفروع ميزانًا عادلًا، فاتفقوا على أن المكلّف متى عرف الحقّ، لا يجوز له تقليد أحدٍ في خلافه... وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ، كما في الاجتهاد في القبلة.

وأما إن قلَّد شخصًا دون نظيره باتباع هواه، ونصره بلسانه ويده من غير علم أن معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيبًا لم يكن عمله صالحًا، وإن كان متبوعه مخطئًا كان آثمًا»[٢].

المبحث الثاني: ترجيحه بين أقوال الفقهاء:

لقد أثرت رؤية ابن بدران للاجتهاد والتقليد في التعامل مع مسائل الفقه المنثورة في تفسيره، فما من مسألة من هذه المسائل إلا وذكر القول الراجح فيها بغض النظر عن أن يكون ذلك موافقًا لمذهبه أو مخالفًا له، فالرجل يدور مع الدليل أينما دار، وكان منهج ابن بدران في الترجيح مبنيًّا على أسس منها:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٦٨).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٤٥، ٤٤٦) وانظر كلام ابن بدران عن التقليد في المواضع التالية (ص:٥٣، ٩٢، ١٨٦، ٢٠٥، ٣١٤، ٣٥٥، ٣٦٥، ٤٤٧).

١ - اعتماد ما صحّ دليله من الأقوال:

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥].

ذكر ابن بدران الأحاديث التي قيدت جواز الصلاة على الراحلة بالنافلة والأحاديث التي عممت هذا الحكم في الفرض والنافلة ثم قال: «فالأحاديث الأولى هي الصحيحة بما هو بمعنى ما تقدم، ومنه يعلم أن الآية مخصوصة بصلاة النافلة»[(١)].

المثال الثاني: وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [البقرة:١٧٣]. أيّد ابن بدران ما ذهب إليه الجمهور من إباحة ميتة البحر سواء ماتت بنفسها أو ماتت بالاصطياد لصحة الدليل في ذلك، وضعّف رأي الحنفية والهادي والقاسم والإمام يحيى والمؤيد بالله في أحد قوليه أنه لا يحلُّ إلا ما مات بسبب آدمي،أو بإلقاء الماء عنه،أو جزره عنه،وأما ما مات أو قتله حيوان غير آدمي فلا يحل،وذلك لأنهم استدلوا بحديث قد أطال ابن بدران في بيان ضعفه[(٢)].

المثال الثالث: ذكره عند هذه الآية أيضًا حيث قال: «وبقي هنا أن يقال إنّه كثيرًا ما تُذبح الذبيحة التي يحلُّ أكلها، فيوجد في بطنها جنين ميت، فهل له حكم الميتة أم لا؟

والجواب: أن ظاهر الآية يقتضي إلحاقه بالميتة، وإلى ذلك ذهبت

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٢٥).
(٢) انظر جواهر الأفكار (ص:٤٥٥، ٤٥٦).

العترة وأبو حنيفة فقالوا: لا تغني تذكية الأم عن تذكيته، واحتجوا بعموم هذه الآية، لكن ذلك الاحتجاج معارض بوجهين:

أولهما: أنه من ترجيح العام على الخاص الوارد في الأحاديث الآتية، وقد تقرر في فن الأصول بطلانه.

وثانيهما: ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ أنه قال في الجنين: «**ذكاته ذكاة أمِّه**». وفي رواية: قلنا يا رسول ننحر الناقة، ونذبح البقرة والشاة في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكل؟ قال: «**كلوا إن شئتم، فإن ذكاته ذكاة أمه**» رواه الإمام أحمد وأبو داود. وإلى ذلك ذهب الثوري والشافعي والحسن بن زياد وصاحبا أبي حنيفة. واعتذر المانعون عن الحديث بأعذار لا تغني شيئًا، وظاهر الحديث أن الجنين يحلُّ بذكاة الأم مطلقًا، سواء خرج حيًّا أو ميتًا، فالتفصيل ليس عليه دليل»[1].

المثال الرابع: عند قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧]، قال ابن بدران: «فدلّت هذه الآية على أن حلَّ المباشرة والأكل والشرب ينتهي عند طلوع الفجر، وزعم أبو مسلم الأصفهاني أنه لا شيء من ا لمفطرات إلا أحد هذه الثلاثة، فأما الأمور التي يذكرها الفقهاء من تكلف القيء والحقنة والسعوط، فليس شيء منها بمفطر، قال: لأن كلّ هذه الأشياء كانت مباحة، ثم دلّت هذه الآية على حرمة هذه الثلاثة على الصائم بعد الصبح، فبقي ما عداها على

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٥٧، ٤٥٨).

الحلّ الأصلي، فلا يكون شيء منها مفطرًا»[١].

وقد ناقش ابن بدران هذا القول وبين خطأه، فقال: «قلت: أما هذه الثلاثة، فالإجماع على أنها من المفطرات، وأما الباقي، فقد ثبت أكثره عن النبي ﷺ»[٢]، ثم ذكر ابن بدران الأحاديث في بيان المفطرات غير الثلاثة المذكورة في الآية ثم قال: «فهذه جملة ما ورد في الأحاديث من المفطرات مما لم يكن معلومًا من الآية الكريمة، فلو ذهب ذاهب إلى أنه لا فطر في غير ما نصَّ عليه الكتاب والسنة، لكان قد ذهب مذهبًا حقًّا صحيحًا لا غبار عليه»[٣].

فهذه الأمثلة تبين اعتماد ابن بدران على الأدلة الصحيحة في ترجيح الأقوال وعدم تقيده بتقليد مذهب دون آخر، وهذا يدل على صدقه في الدعوة إلى الاجتهاد وتتبع الأدلة ونبذ التقليد الأعمى.

٢- اعتماد ظاهر النصوص بشرط عدم وجود معارض:

كان ابن بدران يعتمد في ترجيحه ـ أحيانًا ـ على ظاهر النصوص الشرعية بشرط عدم وجود معارض، كما حدث في مسألة ذكاة الجنين، فقد منع من الاستدلال بظاهر الآية وعمومها معارضان رجحهما ابن بدران على ظاهر الآية وعمومها.

ومن الأمثلة التي تبين اعتماد ابن بدران ظاهر النصوص في الترجيح ما يلي:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٥١٨، ٥١٩).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٥١٩).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٥٢٠).

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤]، قال ابن بدران: «قال أبو حيّان في (البحر): واستدل مالك من قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ على أن المصلي ينظر أمامه لا إلى موضع سجوده، خلافًا للثوري والشافعي والحسن بن حيي؛ في أنه يستحب أن ينظر إلى موضع سجوده. وخلافًا لشريك القاضي في أنه ينظر القائم إلى موضع سجوده وفي الركوع إلى موضع قدميه، وفي السجود إلى موضع أنفه وفي القعود إلى موضع حجره. انتهى.

قلت ـ أي بدران ـ: والنظر إلى موضع سجوده هو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد، خلافًا لمالك كما علمته سابقًا. وما ذكره مالك حسن ظاهر من الآية»[1].

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤]، استدل ابن بدران بظاهر نصّ الكتاب على أن كل مرض يكون معه انحراف الصحة عن اعتدالها الطبيعي، جاز لمن ابتلي به الفطر، وكذلك كلّ سفر طالت مسافته أو قصرت يبيح الفطر، ولم ينظر إلى ما أورده الفقهاء من اختلافات في حدّ المرض والسفر المبيحين للفطر أخذًا بظاهر الكتاب العزيز.

المثال الثالث: وهو مما يدلُّ على عدم الأخذ بظاهر النصّ عند وجود معارض، فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [البقرة:١٧٣]، قال ابن بدران: «وقوله: ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ أراد

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٨٣).

الخنزير بجميع أجزائه، لكنه خصَّ اللحم لأنه المقصود بالأكل.. ونقل أبو حيَّان في (البحر) عن داود الظاهري أنه قال: المحرم من الخنزير اللحم دون الشحم[١]، انتهى.

واستدلَّ بظاهر الآية، ودليله قوي إلا إذا أتى ما يعارضه، وسيمر بك المعارض»[٢].

ثم ذكر ابن بدران المعارض وهو قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام:١٤٥]، ثم نقل ابن بدران عن ابن حزم قوله: «والضمير في لغة العرب التي نزل بها القرآن راجع إلى أقرب مذكور إليه، فصحَّ بالقرآن أن الخنزير بعينه رجس، والرجس واجب اجتنابه».

ثم عقب ابن بدران على كلامه مؤيدًا فقال: «فالخنزير كله حرام، لا يخرج من ذلك شعره ولا غيره، حاشا ما أخرجه النصّ عن الجلد إذا دبغ فحلَّ استعماله»[٣].

---

(١) انظر: البحر المحيط (١/ ٦٦٢).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٥٨).

(٣) جواهر الأفكار (ص:٤٥٩). وهذا الاجتهاد من ابن بدران معارض بأمرين:
الأول: أن الدبغ إنما يؤثر في جلد الحيوان المأكول اللحم كما قال أهل العلم، ويؤكد هذا أن النبي ﷺ نهى عن افتراش جلود السباع، ولو أن دبغها يطهرها لما نهى عن افتراشها.
والثاني: أن العمل عند أهل العلم على الآخر من أمر الرسول ﷺ، والآخر من أمره أنه نهى قبل موته بشهر أو شهرين عن الانتفاع من الميتة بإهاب ولا عصب كما جاء في كتابه إلى جهينة قبل موته.

وهذه الأمثلة تدل أيضًا على ميل ابن بدران إلى الاجتهاد في فهم الأدلة الشرعية وتقديمها على غيرها من أقوال الأئمة والفقهاء، التي نأى ابن بدران بنفسه عن أن يكون مجرد ناقل لها دون فهم أو بصيرة.

المبحث الثالث: اهتمامه بأقوال الفقهاء:

لم يرد ابن بدران أن يكون تفسيره محلًا لذكر خلافات الفقهاء، وقد صرح بذلك في قوله: «وقد ذكر كثير من المفسرين هنا أحكام استقبال القبلة، وخلاف الأئمة في ذلك، وإيراد الأدلة ونقضها، مما محلّه كتب الفروع والخلاف، وإننا لا نتعرض في كتابنا لهذا، ولكننا نذكر الأحكام المستنبطة من الآيات خاصة»[1]. وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر خلافات الفقهاء وأقوالهم في بعض مسائل الفقه من هذا الكتاب مما يدلّ على معرفته بمذاهب الفقهاء وأدلتهم التي ينطلقون من خلالها. ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤]. قال ابن بدران: «... ومن هنا نشأ اختلاف العلماء في المسألة، فذهب الحنفية والحنابلة والشافعي في أحد قوليه إلى أن المصلي إن كان معاينًا للكعبة، ففرضه الصلاة إلى عينها، وهذا مما لا خلاف فيه.. وإن كان بعيدًا عنها ففرضه التوجه إلى الجهة... وقال الشافعي في الرواية الثانية: الفرض إصابة العين.

وأجاب الأولون بأن الحديث: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**» وبأنه لو كان الفرض إصابة العين لما صحّت صلاة أهل الصف الطويل على خط

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٨٤).

مستو، ولا صلاة اثنين متباعدين يستقبلان قبلة واحدة»[١].

ثم ذكر ابن بدران جمع الإمام الطبري بين الأقوال وأشار إلى أنه جمع حسن[٢].

ثم تعرض بعد ذلك لمسألة نظر المصلي، هل ينظر أمامه أم ينظر إلى موضع سجوده وذكر أقوال الفقهاء في ذلك، وقد ذكرت هذا المثال سابقًا[٣].

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣]، ذكر ابن بدران أقوال الفقهاء وأدلتهم في تحريم الذبح لغير الله عز وجلّ[٤].

المثال الثالث: عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٤].

ذكر ابن بدران أقوال الفقهاء فيمن أفطر عامدًا ونقل عن الترمذي قوله: «اختلف أهل العلم فيمن أفطر في رمضان متعمدًا من أكل أو شرب، فقال بعضهم: عليه القضاء والكفارة؛ شبهوا الأكل والشرب بالجماع، وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك وإسحاق.

وقال بعضهم: عليه القضاء ولا كفارة عليه، لأنه إنما ذكر عن النبي ﷺ الكفارة في الجماع، ولم تذكر عنه في الأكل والشرب، وقالوا: لا يشبه

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٨٢).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٨٣).
(٣) انظر (ص:١١٢) من هذا البحث.
(٤) انظر ص(٤٦٠) من جواهر الأفكار.

الأكل والشرب الجماع وهو قول الشافعي وأحمد.

وقال الشافعي: وقول النبي ﷺ للرجل الذي أفطر فتصدّق عليه: «**خذه فأطعمه أهلك**» يحتمل هذه المعاني، يحتمل أن تكون الكفارة على من قدر عليها، وهذا رجل لم يقدر على الكفارة، فلما أعطاه النبي ﷺ شيئًا وملكه، فقال الرجل: ما أحد أفقر إليه منا، فقال النبي ﷺ: «**خذه فأطعمه أهلك**» لأن الكفارة إنما تكون بعد الفضل عن قوته.

واختار الشافعي لمن كان على مثل هذا الحال أن يأكله، وتكون الكفارة عليه دينًا، فمتى ما ملك يومًا ما كفَّر» انتهى.

ثم قال ابن بدران: «ومحصّله أن الفطر في شهر رمضان فيه الكفارة عند أهل العلم، لكن تسقط عند العجز عنها في المشهور من مذهب أحمد، وتكون دينًا في ذمته عند الشافعي.

وأما من أفطر بغير الجماع من غير عذر، ففي إلزامه الكفارة خلاف، والآية الكريمة دليل لمن قال بلزوم الكفارة، خلافًا لمن قال: إنها منسوخة، لأن ادعاء النسخ ليس بالأمر السهل»[1].

المبحث الرابع: عنايته بأصول الفقه:

أشار ابن بدران إلى بعض المسائل الأصولية في تفسيره مما يدلّ على عنايته بهذا الفن ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: الأصل في الأشياء الإباحة أم الحظر؟

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٩٧، ٤٩٨).

يرى ابن بدران أن الأصل في الأشياء الإباحة، والحظر لا يثبت إلا بدليل، وقد تعرض لهذه المسألة أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]، فقال: «ثم إن ها هنا بحثًا يؤخذ من هذه الآية على مسلك أصحابنا المؤمنين بالله وبرسوله وبكتابه المنزل، وهو أن بعض الفقهاء استدلّ بهذه الآية على أن الأصل في الأشياء الإباحة، فلا يمنع شيء إلا بدليل، وإليه ذهب الحنفية وبعض الحنابلة.

وقال قوم: الانتفاع بالأعيان قبل ورود الشرع على المنع، وإليه ذهب بعض المعتزلة، وبعض الحنابلة، وقال جماعة بالوقف، وهم الذين يقفون في الأحكام عند تجاذب الأدلة لها.

والمسألة طويلة الذيل، وقد أطيل الكلام عليها في فن (أصول الفقه) والذي تقتضيه الآية، أن الله تعالى خلق لنا ما في الأرض جميعًا، وإذا كان مخلوقًا لنا، والله تعالى ذكره في معرض النعم التي عمت المكلفين بأسرهم، فيكون مباحًا لنا، إلا أن يأتي بيان من الشرع بمنع شيء منه، فإننا نتركه عملًا بذلك البيان...»[1].

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ قال ابن بدران: «فأطلق الوالدين ولم يقيدهما بكونهما مؤمنين، ولا بكونهما كافرين، ومن المعلوم في فن الأصول أن الحكم إذا ترتب على وصف، أشعر بعليّة ذلك الوصف، فالآية دالة على أن الأمر بتعظيم الوالدين لمحض كونهما والدين،

(١) جواهر الأفكار (ص:١٤٩).

وهذا يقتضي العموم»[١].

وهذا مثال جيد في استفادة ابن بدران من علم الأصول في تفسير كلام الباري تعالى.

المثال الثالث: عند قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

أشار ابن بدران إلى مسألة الإجماع فقال: «واحتج جمهور المعتزلة بهذه الآية على أن إجماع الأمة حجة. قالوا: أخبر الله عن عدالة هذه الأمة وعن خيرتهم، فلو أقدموا على شيء وجب أن يكون قولهم حجة. والكلام على هذه المسألة مستوفى في فن أصول الفقه»[٢]. وكان الأولى بابن بدران أن يذكر أن الإجماع حجة عند أهل السنة والجماعة ولا يخصص المعتزلة بالذكر[٣].

المثال الرابع: عند قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤]، ذكر ابن بدران قاعدة في بيان وجوب الاجتهاد والتكليف بالظن فقال: «إن قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ يوجب الاستقبال، وقد ثبت عقلًا أنه لا سبيل إلى الاستقبال إلى الجهات إلا بالاجتهاد، وثبت بالعقل أن ما لا يتم الوجوب إلا به فهو واجب، لزم

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٤٣).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٧٢). انظر المستصفى للغزالي (ص:١/ ٣٢٧)، والإحكام للآمدي (١/ ١٩٦) وحجية الإجماع (ص:٦١).

(٣) انظر: الرسالة للشافعي (ص:٥٣٤)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٣٤١)، والإجماع في التفسير (ص:٤١).

القطع بوجوب الاجتهاد، والاجتهاد لابد أن كون مبنيًّا على الظن، فكانت الآية دالة على التكليف بالظن، فثبت بهذا أن التكليف بالظن واقع في الجملة»[١].

المثال الخامس: تكلم ابن بدران عن نسخ القرآن بالسنة واختار أن القرآن لا ينسخ بالمتواتر من السنة فضلًا عن الآحاد، وكان من قوله في ذلك: «... ومن هنا تعلم أن هذا الحديث متكلم فيه، وأنه لم يقو إلا بضم أسانيده بعضها إلى بعض، حتى تحصل له مرتبة العمل به، وأيًّا ما كان فلا يصلح أن يكون ناسخًا للآية، ولا مخصصًا لها، على ما هو المختار عند الأصوليين، من أن نسخ الكتاب ومتواتر السنة آحادها جائز عقلًا لا شرعًا.

وقد نقل الشيخ عبد الله المقدسي في كتابه (روضة الناظر) وتبعه الطوفي في مختصره وشرحه ـ إجماع الصحابة على أن القرآن ومتواتر السنة لا يرفع بخبر الواحد.

على أن الخلاف قد جرى في أن متواتر السنة هل ينسخ القرآن أم لا؟. فنقل في (الروضة الأصولية) أن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: «لا ينسخ القرآن إلا قرآن مثله يجيء بعده».

وحكى الآمدي هذا القول عن الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر الظاهرية. وحكى الجواز عن مالك والحنفية وابن سريج وأكثر الأشاعرة والمعتزلة. قال القرافي: هو جائز عند أكثر أصحابنا، انتهى.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٨٤).

والأول هو الذي نختاره وندين الله به، فإذا كان القرآن لا ينسخ بالمتواتر، فلأن لا ينسخ بالآحاد من باب أولى»[١].

وهذا النص يبين اطلاع الرجل على كثير من كتب الأصول، ويبين كذلك أمانته العلمية في نقل الخلاف بين العلماء في المسألة التي يذهب فيها مذهبًا معينًا.

ويبين كذلك اعتداده بنفسه وتصريحه برأيه في مثل هذه المسائل الكبيرة التي اختلفت فيها وجهات نظر كبار العلماء.

***

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٨٤).

الفصل الثالث:

مسائل العقيدة في تفسير ابن بدران

تمهيد:

حفل هذا القسم الذي وصل إلينا من تفسير ابن بدران والذي لم يتعدّ تفسير الآية التاسعة والثمانين بعد المائة من سورة البقرة بجملة لا بأس بها من قضايا العقيدة التي تبين سلامة معتقد ابن بدران ـ في الجملة ـ ونصرته لمذهب السلف في العلم والعمل.

وقد ذكر ابن بدران عقيدته السلفية في مقدمة كتاب (ا لمدخل إلى مذهب الإمام أحمد) فقال: «إنني لمّا منّ الله عليَّ بطلب العلم، هجرت له الوطن والوسن، وكنت أبكر فيه بكور الغراب، وأطوف المعاهد لتحصيله، وأذهب فيه كلّ مذهب، وأتبع في كلّ شعب ولو كان عسرًا، أشرف على كلّ يفاع، وأتأمل كلَّ غور، فتارة أطوع بنفسي فيما سلكه ابن سينا في (الشفا) و(الإشارات). وتارة أتلقف ما سبكه أبو نصر الفارابي من صناعة المنطق وتلك العبارات. وتارة أجول في مواقف (المقاصد) و(المواقف). وأحيانًا أطلب (الهداية) ظنًّا مني أنها تهدي إلى رشد، فأضم إليها ما سلكه ابن رشد، ثم أردد في الطبيعي والإلهي نظرًا، وفي تشريح الأفلاك أتطلب خبرًا أو خُبْرًا، ثم أجول في ميادين العلوم مدة كعدد السبع البقرات العجاف، فارتدَّ إليّ الطرف خاسئًا وهو حسير، ولم أحصل من معرفة الله جلّ جلاله إلى على أوهام وخطرات ووساوس وإشكال نشأ من البحث والتدقيق، فأدفعه بما أقنع نفسي بنفسي.

فلما همت في تلك البيداء التي هي على حدّ قول أبي الطيب:

يتلون الخريت من خوف النوى فيها كما تتلون الحرباء

ناداني منادي الهدى الحقيقي؛ هلم إلى الشرف والكمال، ودع نجاة ابن سينا الموهومة إلى النجاة الحقيقية، وما ذلك إلا بأن تكون على ما كان عليه السلف الكرام من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان. فإن الأمر ليس على ما تتوهم، وحقيقة الربِّ لا يمكن أن يدركها المربوب، وما السلامة إلا بالتسليم، وكتاب الله حق، وليس بعد الحق إلا الضلال، فهنالك هدأ روعي، وجعلت عقيدتي كتاب الله، أكِلُ علم صفاته إليه بلا تجسيم ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل، وانجلى ما كان على قلبي من رين أورثته قواعد أرسطوطاليس»[1].

نحن إذن أمام عالم خاض لجة بحار الفلسفة والكلام، وارتمى ـ بادئ الأمر ـ في أحضان معارف اليونان، ولكنه أدرك زيف تلك العلوم، وضلال تلك الفهوم، فكيف يرشد هؤلاء إلى الهداية وهم لَمَّا يهتدوا بعد؟ وكيف يصلون إلى الحقيقة ولا زالوا منها في شكّ، ثم إنه عاد بعد ذلك إلى المعين الصافي والمنهل العذب أعني كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه خير القرون من معتقد، فهل ظهر هذا التوجه الجديد في تفسيره أم أن آثار الفلسفة والكلام لا زالت موجودة عند ابن بدران؟ هذا ما يمكن أن نتعرف عليه من خلال دراستنا لأهم قضايا العقيدة التي وردت في تفسير ابن بدران، وذلك من خلال المباحث التالية:

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد (ص:٣).

المبحث الأول: نصرته مذهب السلف في الإيمان:

عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]، قال ابن بدران: «الإيمان إذا عُدي بالباء كان معناه التصديق، وهنا يراد به التصديق مع المعرفة، لأنه خرج مخرج المدح»[(١)].

وقد نصر ابن بدران قول السلف في أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي فقال: وأنت خبير بأن ما جاء به الرسول: اعتقاد وقول وعمل، وأن كلّ فرد من أفراده وما عُلم أنه من الدين بالضرورة، لا يتم إلا إذا أقرّ به المكلّف إقرارًا شاملًا للثلاثة.

فالإيمان بوجود الله تعالى لابد أن يعتقده المكلّف بقلبه، وإلا كان منافقًا. ولابد أن تكون أقواله وأفعاله أقوال وأفعال من يصدق بوجود الله تعالى، وإلا كان مستهزئًا.

وكذلك الصلاة إذا لم يعتقد المكلف بوجوبها كان ممن أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٤-٧].

وإذا اعتقد وجوبها ولم يُصرِّح به ولم يفعلها اختلَّ شرطان من الإيمان بها. وحينئذٍ لا محيص عن قول السلف: الإيمان قول وفعل، ويزيد وينقص. قال الله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، إلى غير ذلكم من الآيات الدالة نصًّا وتصريحًا على أن الإيمان يزيد وينقص.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٥٥).

وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل»[1].

المبحث الثاني: كلامه في توحيد الألوهية:

تناول ابن بدران بعض جوانب توحيد الألوهية من إخلاص العبادة لله تعالى، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، ومن هنا فإنه حمل على غلاة الصوفية الذين يتخذون الوسائط بينهم وبين الله تعالى، وبيّن أن الاستغاثة وطلب المعونة لا تُرتجى إلا من الله تعالى وحده، وردّ كذلك على مدعي الولاية، وحمل على عبّاد القبور وبين أسباب عبادة الأوثان، وذكر كذلك كلمة نافعة في الولاء والبراء، وسوف أمثّل ببعض عباراته على ما سبق مع الاختصار لعدم الإطالة.

المثال الأوّل: قال رحمه الله: «وأما الذين اتخذوا دونه حجب الوسائط، ورأوا سواه حين العبادة، وتمسكوا بأناس يجعلونهم أربابًا من دون الله فيقولون: إن فلانًا يتصرف في ربع المعمور، وفلانًا يتصرف في بلدة، وفلانًا أُعطي قوة التصرف حيًّا وميتًا إلى غير ذلك من أحوالهم، فإن الران يتراكم على قلوبهم حتى يحجبهم عن معرفة الله ومراقبته في الدنيا، وأنى تصح المعرفة والمراقبة لمن يعتقد التصرف في الكون لغير الله تعالى؟ أم كيف يحصل

(١) جواهر الأفكار (ص:٦٣) وانظر في الإيمان عند أهل السنة والجماعة: العقيدة الطحاوية ص: (٤٥٩) وما بعدها وص (٥١٣) و الإيمان لابن تيمية (ص:٢٧٦) وما بعدها، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٨٣٠) ولمعة الاعتقاد (ص:٢٣) ومنهاج السنة (٥/ ٢٠٤ وما بعدها).

التجلي لمن يعتقد أن ثمة ضارًا ونافعًا ورازقًا ومتصفًا بصفات الكمال غير الله تعالى؟ أم كيف يتجاسر بالكذب على الله تعالى فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ من جعل من دونه أولياء، اغتصب صفات الله فجعلها لهم، إن هؤلاء قد خاطبهم تعالى بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤][(١)].

المثال الثاني: قال رحمه الله في نقد متخذي الوسائط من دون الله: «... وأين هذه الدقائق ممن تركوا هذه الأذواق واستعانوا بغير الله، وشبهوه بخلقه فقالوا: إنا نرى السلاطين والأمراء لا نصل إلى خيرهم وبرّهم إلا بواسطة الشفعاء، فكذلك الله لا يوصل إلى خلقه إلا بواسطة من ندعوهم.

وهذا قياس فاسد، لأن من ذكروا من السلاطين والأمراء لا يسمعون نداء الداعين، ولا يعرفون المحقَّ من المبطل ولا المحتاج من غيره إلا بواسطة مبلِّغ لهم. والله بخلاف ذلك فإنه يسمع السرَّ وأخفى»[(٢)].

المثال الثالث: جاء في ردّه على مدعي الولاية قوله: «وجازف بعض المدعين للولاية في زمننا فقال: هذا وصف للولاية العامة، وفوقها ولاية أعلى خاصة، فقلنا له: إن أردت التفاوت في درجات الإيمان بالغيب وبما بعده، وبعبارة أخص: إن أردت التفاوت في درجات التقوى فهذا صحيح، لأن التقوى لها درجات بعضها أعلى من بعض. قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٣٨، ٣٩).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٠).

وإن أردت غير ذلك من أنواع الزندقة، ككون الولي هو من يتصرف في الكون كيف شاء، وأنه أعلى مقامًا من الأنبياء والرسل، وأنه يشارك الله في أفعاله المنفرد بها، فقد خالفت صريح الكتاب العزيز، وافتريت على الله وعلى رسله وأنبيائه، وأتيت بصفة لا يوجد أحد في الكون متصف بها»[1].

المثال الرابع: قال رحمه الله في ذم عباد القبور والأوثان: «ولكن الجهل تلاعب بعباد الأوثان فزين عبادتها لهم باستنباطات عديدة، تلاعب بها بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى، الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، وهذا هو الغالب على عوام المشركين. وأما خواصّهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتًا وسدنة، وحجابًا وحجًّا وقربانًا.

ولم يزل موجودًا في الدنيا، وآثاره بادية للعيان، وجاءت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لإنكاره ومناظرة أهله، وأولهم سيدنا نوح عليه السلام، وقد أمر قومه بترك عبادة (ودّ ويغوث ويعوق ونسرا) وهم أسماء لأصنامهم.

ثم سيدنا إبراهيم عليه السلام فقد ناظر قومه في بطلان الشرك وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده، وآخرهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.. وبالجملة فإن أكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأوثان والأصنام ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم عليه السلام... والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله،

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٥٢، ٥٣) وانظر في ذلك فتح المجيد (ص:١٧١) وما بعدها.

وأنهم أعداء الله ورسله، وأنهم أولياء الشيطان وعباده، وأنهم هم أهل النار»[١].

ثم بين ابن بدران أن الغلو في المخلوق هو من الأسباب الكبرى لعبادة الأوثان فقال: «ومن أسباب عبادة الأوثان الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جُعل فيه حظٌ من الإلهية، وشُبِّه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وتعالى، وأقام الأدلة على جهل مدعيه، ووبخهم هنا بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢][٢].

المثال الخامس: عند قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، قال ابن بدران: «وهذا الخطاب وإن كان للنبي ﷺ، لكنه في ضمنه التأديب لأمته، فإنهم يعلمون قدره عند ربه، وإنما ذلك ليتأدب به المؤمنون، فلا يوالون الكافرين، فإنهم لا يرضيهم منهم إلا اتباع دينهم»[٣].

المثال السادس: عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣]، قال ابن بدران: «معناه ـ والله أعلم ـ ما ذُبح للآلهة والأوثان، يسمى عليه ﴿لِغَيْرِ﴾، اسم ﴿ٱللَّهِ﴾ أو قُصد به الأصنام»[٤]. ثم نقل عن كتاب (الروض)

(١) جواهر الأفكار (ص:١٠٨-١١٠) وانظر في هذا المعنى: كتاب التوحيد (ص:٦٤) وما بعدها، وفتح المجيد (ص:٦٤، ٢٠١) وما بعدهما، وتيسير العزيز الحميد (ص:٣٠٦) وما بعدها.
(٢) جواهر الأفكار (ص:١١٠).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٣٣).
(٤) جواهر الأفكار (ص:٤٥٩).

للشافعية: «أن المسلم إذا ذبح للنبي كفر».

قال الشوكاني بعد أن نقل كلامه: إذا كان الذبح لسيد الرسل ﷺ كفرًا عنده، فكيف بالذبح لسائر الأموات انتهى[1].

المبحث الثالث: كلامه في الأسماء والصفات:

أثبت ابن بدران لله تعالى بعض الصفات التي وردت في القرآن في حال المقابلة كالاستهزاء والسخرية والخداع والمكر، ورأى أن ذلك من الله تعالى عدل لأنه قابل الكفار بما يستحقون وعاملهم بمثل ما كانوا يعملون، فقال: «الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرًا، وهو بذلك من قوله وفعله، مورثه مساءة باطنًا، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر.

وحيث إن هذا معنى الاستهزاء، وكان الله تعالى قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام، بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله، المدخل لهم في عداد من يشمله اسم الإسلام، وإن كانوا مستبطنين خلاف ذلك، منطوية ضمائرهم على خلاف ما عليه أهل الإيمان الصحيح، مع علم الله تعالى بكذبهم، واطلاعه على خبث اعتقادهم، حتى ظنوا أنهم يحشرون في الآخرة في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا.

والله تعالى مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام التي ألحقتهم بالمؤمنين، جعل تمييزًا بينهم وبين أوليائه، وتفريقًا بينهم وبينهم، وأعدّ لهم في الآخرة من العقاب والنكال ما أعدّه لأعدى أعدائه...

---

(١) جواهر الأفكار (ص: ٤٦٠) وانظر فتح القدير (١/ ١٦٩).

وما فعله بهم وإن كان مجازاة لهم على أفعالهم، فإنه منه سبحانه وتعالى عدل، لاستحقاقهم إياه بعصيانهم له، وكان بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم، من إلحاقهم أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه، وهم له أعداء، وحشره إياهم في الآخرة مع المؤمنين، وهم به من المكذبين. إلى أن ميَّز بينهم وبينهم مستهزئًا وساخرًا، ولهم خادعًا وبهم ماكرًا، إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل، دون أن يكون ذلك معناه في كلّ أحواله، إذا وجدت الصفات التي قدمنا ذكرها في الاستهزاء»[1].

ويرى ابن بدران أن أفعال الله تبارك وتعالى لا تقاس بأفعال المخلوقين، فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧]، قال: «ما أراد الله وجوده إنما هو موجود في علمه تعالى، وإن كان معدومًا في الخارج، فإذا أراد الله تعالى إبراز ذلك الموجود إلى الخارج أمره بالتكوين فتكوَّن. وأفعاله تعالى لا تقاس على أفعال المخلوقين ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [النحل:٧٤].

ومما يدل على عدم وقوع ابن بدران في التأويل المذموم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ومدلوله لغير علة، ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦]، ثم نقل عن الخطابي قوله: «معناه قريب بعلمه من خلقه، قريب ممن يدعوه بالإجابة».

ثم قال ابن بدران: «وهذا ليس من التأويل الذي يميل اللفظ إلى غير ظاهره، بل إنه تعالى أخبر عن نفسه بأنه ﴿قَرِيبٌ﴾ ثم فسر ذلك القرب

(١) جواهر الأفكار (ص:٧٩) وانظر: شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٣١) وما بعدها.

بقوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فلا يتوهمن متوهم من هذا: القرب المكاني، فإن الله تعالى منزه عنه، وعن الحلول، ولهذا حافظ تعالى على تفسير هذا اللفظ؛ لئلا يقع العباد في الوهم، وفي نسبته تعالى إلى ما لا يليق به من الحلول والاتحاد. ومن هذا النمط قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦][1].

المبحث الرابع: بعض المآخذ العقديّة على تفسيره:

تركز الحديث في المباحث السابقة على نصرة ابن بدران لمذهب السلف الصالح في الإيمان ومباحث توحيد الألوهية المختلفة والأسماء والصفات.

ولكن يبدو مع ما سبق من صفاء عقيدة الرجل أنه مازال للفلسفة وعلم الكلام أثرهما في نفسه وتفكيره، ويدل على ذلك كثير من الأمور منها:

١- استدلاله بأقوال المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة والفلاسفة وغيرهم، بل إنه في بعض من الأحيان يعتمد قول هؤلاء ويدع أقوال غيرهم من السلف.

٢- عدم نصرته لمذهب السلف في بعض القضايا الواضحة، حيث اكتفى فيها بنقل الخلاف بين السلف وغيرهم، وكأن الأمر مما يسع الخلاف فيه.

وهنا مثال لابد من ذكره، وهو موقفه من أهل الكبائر فقد قال:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٥١٠) وانظر: شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٨٩) وما بعدها.

«ولبعض المفسرين والمتكلمين مسارح في هذا المقام طويلة جدًّا حاصلها أن هنا ثلاثة مذاهب:

أولها: إثبات الخلود في النار لأهل الكبائر، الذين ماتوا ولم يتوبوا منها وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج.

وثانيها: القطع بأنه لا وعيد لهم، وهو قول شاذ ينسب إلى مقاتل بن سليمان المفسّر.

وثالثها: القطع بأنه سبحانه وتعالى يعفو عن بعض العصاة ويعذب ببعض المعاصي، مع التوقف في حق كلّ أحدٍ على التعيين، أنه هل يعفو عنه أم لا. والقطع بأنه تعالى إذا عذب أحدًا منهم مدة، فإنه لا يعذبه إلى الأبد، بل يقطع عذابه، وهذا قول أكثر الصحابة والتابعين، وهو قول جمهور العلماء، وأكثر الإمامية، ولكلٍّ من هذه الفرق أدلة يطول بيانها، ومحلّها كتب الكلام، وقد ذكر الرازي منها جملًا»[1].

فانظر كيف أنه حكى الخلاف المشهور بين أهل السنة والجماعة والخوارج وجمهور المعتزلة من جهة والمرجئة من جهة أخرى في حكم مرتكب الكبيرة، ولم يرجح رأيًا على رأي في هذه المسألة العقدية المهمة، بل إنه ذكر أن لكل فريق أدلته، وكأن الأمر من باب المسائل اليسيرة المختلف فيها، وكان الواجب أن ينص هنا على صحة مذهب الصحابة والتابعين وجماهير الأمة في ذلك.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٤١) وانظر في هذه المسألة:مدارج السالكين (١/ ٣٠٥) وما بعدها، ومعارج القبول (٢/ ٣٤١) وما بعدها، والإيمان لابن تيمية (ص:٥٥).

ومن الملاحظ أيضًا أنه يحيل في كثير من المسائل العقدية الهامة إلى ما كتبه الرازي، مع أنه أشعري وقع في خطأ مخالفة معتقد أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، ولا يحيل ابن بدران مثلًا على ما كتبه شيخا الإسلام ابن تيميّة وابن القيم في ذلك، وما كتباه في ذلك يفوق ما كتبه الرازي وغيره كثرة وشهرةً ودقة[1]، فكلّ ذلك يدل على أن ابن بدران لم يزل يعاني من آثار الفلسفة وعلم الكلام وإن كنا لا نشكك في توجهه إلى مذهب السلف عقيدةً وعملًا ولكن الأمانة العلمية تقتضي من الباحث ذكر ما يرآه من المآخذ.

٣- اعتباره الكرسي والعرش فلكين من الأفلاك، وهذا لم يقل به أحد من سلف الأمة، حاشا الفلاسفة وبعض المتكلمين، وهذا يؤكد بقاء أثر قراءاته السابقة في الفلسفة وعلم الكلام وتأثيرها على تفسيره. قال ابن بدران: «ثم إن قولهم في الاعتراض الثاني ـ يعني منكري وجود الأفلاك ـ : إنا لو سلّمنا أن المراد بالسموات السبع: السيارات لانتقض الحصر بالهرشل. مدفوع أيضًا بأننا نتنزّل معهم في البحث ونقول: إن السماوات عبارة عن السيارات السبع، ولكن انتقاض الحصر ليس بلازم لنا، لأن العدد لا مفهوم له، ولو سلّمنا أن له مفهومًا، ولكن الكتاب العزيز لم يقتصر على ذكر السبع بل زاد عليها اثنين، وهما الكرسي والعرش، وهما عند الحكماء مما يطلق عليهما لفظ الفلك، فإذا انضما إلى السبعة صارت

(١) انظر: الإيمان، ودرء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية، والرسالة التدمرية، لابن تيمية. واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم.

تسعة، وهم إلى الآن لم يكتشفوا الثامن من بعد ألوف من السنين، ونحن ندعهم حتى يكتشفوا التاسع بعد دهر وهناك يذعنون لنا»[١]، فانظر موافقته على اعتبار الكرسي والعرش فلكين من الأفلاك مع إقراره بأن هذا على مذهب الحكماء وهم الفلاسفة، وهذا يدل ـ بلا شك ـ على تأثر ابن بدران بكلامهم.

٤- ومن مظاهر تأثر ابن بدران بالمتكلمين والفلاسفة تلفظه ـ أحيانًا ـ بعبارات غير مضبوطة شرعًا، وهي مما لا يليق بالباري تعالى، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- قوله: «وقال بعضهم: إن للوحي بالتوراة ثلاثة طرق:

أولها: تبليغ الأنبياء لأفكار الله، بصفة نواب عنه نيابة مطلقة»[٢].

فقوله: «أفكار الله» لا يُشعر بتعظيم الخالق سبحانه وتعالى، لأن الأفكار صفة المخلوقين، ولم يرد هذا اللفظ لا في الكتاب ولا في السنة ولا في عبارات الصحابة والسلف الصالح، فكان ينبغي ردّ هذا التعبير حتى ولو أنه نقله عن غيره، لئلا يشعر القارئ بإجازته له وموافقته عليه.

ب- قوله: «وهذه الأوصاف التي أجريت على الله تعالى من كونه ربًّا ومالكًا للعالمين... دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه الحمد والثناء عليه بما هو أهله»[٣].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٥٢).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٥٦).
(٣) جواهر الأفكار (ص:٣٧، ٣٨).

فقوله: «أُجريت على الله تعالى» من قبيل إساءة التعبير مع ربّ العزة والجلال سبحانه وتعالى، لأن الله تعالى هو الذي وصف نفسه بصفات الكمال والجلال،وهو الذي علّم أنبياءه أسماءه وصفاته ونعوت جلاله. فالواجب في هذه المسائل التقيد بالعبارات الشرعية وعدم التجوز في ذلك لئلا تزلّ قدم بعد ثبوتها.

ج- ومن ذلك أيضًا إطلاقه وصف الصانع على الله تعالى وهو لفظ جرى على ألسنة المتكلمين ولم يكن علماء السلف يصفون الله تعالى به. يقول ابن بدران: «فأقول حيث إن الصانع جل وعلا هو الموجد لجميع الكائنات...»[١].

وهذا الوصف لم يرد في القرآن ولا في السنة، ولم يستخدمه أصحاب النبي ﷺ. والقاعدة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

المبحث الخامس: علمه بعقائد أهل الضلال في عصره:

مما يتميز به ابن بدران معرفته الكبيرة بعقائد أهل الضلال، وهو لم يقتصر في ردّه على فرق أهل الضلال من المتقدمين كاليهود[٢]، والنصارى[٣]، والفلاسفة[٤] وغيرهم، بل شملت ردوده كذلك أهل الضلال المعاصرين ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٩٧).
(٢) انظر على سبيل المثال: (ص:٦٨) من جواهر الأفكار.
(٣) انظر على سبيل المثال: (ص:٥٦) من جواهر الأفكار.
(٤) انظر على سبيل المثال: (ص:١٠٥) من جواهر الأفكار.

١- عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩].

قال: «فما استدل به الإباحيون والاشتراكيون من هذه الآية من أنها تدل على أنه تعالى أخبرنا بأنه خلق الكلَّ للكلِّ، فلا يكون لأحد اختصاص بشيء أصلًا، إنما هو قول باطل مصادم لشرائع الأنبياء، وهذه الطائفة موجودة في زمننا هذا، ويقال لهم: الاشتراكيون، وطريقتهم وطريقة الدهرية واحدة، وهم يزعمون ظاهرًا أنهم سند الضعفاء، والمطالبون بحقوق المساكين والفقراء، وما قصدهم باطنًا إلا رفع الامتيازات الإنسانية كافة، وإباحة الكلّ في الكلّ، وإشراك الكلّ في الكلّ. وهم لا يستدلون بهذه الآية ولا غيرها، ولكن البعض منهم إذا لاحى متدينًا عارضه بها. ولكن استنادهم على أن جميع المشتهيات الموجودة على سطح الأرض منحة من الطبيعة وفيض من فيوضها، وأن جميع الأحياء سواء في التمتع بها، وأن اختصاص فرد من الإنسان بفرد منها دون سائر الأفراد، بدعة في شرع الطبيعة، سيئة يجب محوها والإراحة منها»[1].

ثم استمر في بيان عقيدتهم وخطورتها بما يدل على معرفته بعقائد أهل الضلال في عصره، ونقده لها من خلال أدلة الكتاب والسنة.

٢- ولمّا تحدث ابن بدران عن المنافقين أشار إلى الزنادقة والحلولية فقال: «ويندرج في هذا القسم من يقول بأنه مؤمن بالله ثم ينتحل الزندقة والإلحاد ويدّعي الحلول وأنه تعالى حالٌّ في جميع الأشياء أو في بعضها أو أن

(١) جواهر الأفكار (ص:١٤٨).

له مشاركًا في أفعاله من جماد أو حي أو ميت كما هو زعم كثير من ا لفرق المنتمية إلى الإسلام في زمننا هذا بل ضرر هؤلاء على الدين أشد من ضرر غيرهم عليه لأنهم يتلبسون به ويدّعون الزهد والتقى والصلاح ثم يبثون مقاصدهم لأولي العقول السقيمة فيأخذونها على أنها من الأسرار الربانية المفاضة عليهم من عالم القدس»[1].

وهذا النقد منه لمعتقدي الحلول والاتحاد والذين صرفوا بعض أنواع العبادة للأموات أو الأحياء والجمادات، مع ادعائهم للزهد والتقى من غلاة المتصوفة الذين كثروا في زمانه؛ يدلّ على عميق معرفته بعقائد أهل الضلال في عصره، ووسائلهم التي يخدعون بها العوام، وشدّة خطرهم على الدين.

***

(١) جواهر الأفكار (ص:٦٩).

الفصل الرابع:

التفسير العلمي عند ابن بدران

المبحث الأول: موقف ابن بدران من التفسير العلمي:

من الواضح أن ابن بدران يعتبر من المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم، وذلك لكثرة المواضع التي ربط فيها آيات الله القرآنية بآياته الكونية وعلوم الطبيعة والهيئة وطبقات الأرض وغير ذلك.

وبما أن التفسير العلمي هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما بوجه من الوجوه[١]، فإن ابن بدران قد اجتهد في ذلك ولم ير بأسًا بهذا الربط، بل رأى أن ذلك من جملة التفكر في خلق السماوات والأرض. قال ابن بدران في بيان موقفه من الإعجاز العلمي: «حيث إن الصانع جلّ وعلا، هو الموجد لجميع الكائنات، فالبحث عن أشكالها وأوضاعها، مع الإقرار بوجود صانعها لا يضرنا، بل هو من جملة التفكر في خلق السماوات والأرض والاستدلال على قدرته الباهرة بآثاره الظاهرة.

ومن جملة الذين استخدموا أفكارهم في معرفة بدائع خلق السماوات والأرض، وما في الأولى من الكواكب: علماء الهيئة»[٢].

وحين تحدث ابن بدران عن وجوه الإعجاز في القرآن ذكر منها «الإعلام بالمغيبات الكائنات في الأزمنة السابقة وما لم يكن ولم يقع بعد

(١) انظر: دراسات في علوم القرآن (ص:٢٨٩) الدكتور فهد الرومي.
(٢) جواهر الأفكار (ص:٩٧، ٩٨).

فوجد في الأيام اللاحقة مطابقًا لما ورد»[١].

ولكن ابن بدران لم يتكلف في هذا الموضع بأن أخضع كل آية للتفسير العلمي ولكنه كان يختار الآيات التي يمكن استجلاء معانيها في ضوء التفسير العلمي والمكتشفات الحديثة.

ثم إنه لم يزعم أن هذا التفسير العلمي هو الصواب وغيره خطأ، لعلمه أن المكتشفات العلمية تتجدد وربما أثبتت غدًا شيئًا كانت تنكره بالأمس، ولذلك كان ابن بدران حريصًا على أن لا يجزم بشيء من تلك التفاسير التي ربطت بين القرآن والعلوم الكونية.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- قوله عن البرق: «... وهذا يشبه ما ذكره أهل عصرنا من أن سبب البرقِ الكهربائيةُ السارية في السحاب. ونحن بحسب ما عرفناه اليوم يمكن أن يكون هذا القول صحيحًا، اللهم إلا أن يأتي بعدنا أو في زمننا قوم يكتشفون خلاف هذا. فإن هذه الفنون سائرة إلى الأمام. ولقد شاهدنا الشررَ الكهربائي ليلًا من سلك في بيروت، ونحن في جبل لبنان، فرأينا أن لا فرق بينه وبين البرق بوجه من الوجوه، إلا بالعلو والسفل.

وهذا يتبين بما قاله الحكماء المتأخرون من أن الكهربائية موجودة في كلّ شيء، بلا فرق بين السحاب وغيره، فإذا تقاربت سحابتان كهربائيتان إحداهما مثبتة، والأخرى منفية[٢]، لم يقو الهواء على الفصل بينهما، تجاذبتا

(١) جواهر الأفكار (ص:١١٤).
(٢) يشير إلى السالب والموجب.

حتى تصير على بعد محدود، فتقدم كلّ واحدة منهما إلى الأخرى بشدة، فيظهر منهما نور هو البرق، ويُسمع بعده دويٌّ هو الرعد، فإذا قوي الهواء على الفصل بينهما وقاربت السحب من الأرض انقضت الشرارة الكهربائية أحيانًا منهما، فتنزل صاعقة تهلك ما تصيبه»[١].

٢- وعند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة:٢٢]، ذكر ابن بدران خلاف علماء الهيئة في كروية الأرض وتسطيحها ولم يرجح شيئًا في ذلك.

وذكر كذلك اختلافهم في كونها متحركة أو ساكنة،ولكن يبدو أنه يميل هنا لكون الأرض متحركة حيث إنه رد على الرازي قوله أن الأرض ساكنة ووصف قوله بالضعف»[٢].

٣- وعند قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة:٢٢]، قال: «وأنت إذا تأملت الجوَّ من جهة العلو، ومن جهاته الأربع، رأيت نظرك قد انتهى إلى منظر بديع، فإنك ترى قبة زرقاء، قد أرخت أطرافها على الأرض، وهذا المرئي وإن لم يكن جسمًا، لكن يخيل للناظر أنه جسم حقيقي لا وهمي»[٣].

ثم نقل ابن بدران كلامًا للجاحظ مفاده أن المراد بالسماء في الآية هو ما نراه من الأشياء المحيطة بنا، بواسطة أن شعاع المبصر يخرج على شكل مخروطي متسع الأسفل، ضيق الأعلى.

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٨٩، ٩٠).
(٢) انظر جواهر الأفكار (ص:٩٨- ١٠١).
(٣) جواهر الأفكار (ص:١٠١).

ثم تكلم ابن بدران عن دوران الأرض حول الشمس وطبقات الكواكب، ثم بين بعد ذلك مقصده من إيراد هذا الكلام فقال: «على أننا لسنا الآن بصدد بيان علم الهيئة، ولا أننا نبين أمثال هذا لنوضح به اعتقادنا، ولكننا نورد أمثاله لبيان أن البحث عن أشكال الأرض وأوضاعها والسموات ونجومها وأفلاكها لا ينافيه القرآن، كما يعلمه من تدبره بعقل وفهم، والحقيقة ربما تكون على خلاف ما يقره علماء الهيئة وغيرهم، والله أعلم بحقائق الأمور»[١].

بهذا الحذر تناول ابن بدران هذا الجانب من التفسير فسلم بذلك من المزالق التي وقع فيها كثير من المتقدمين والمتأخرين نتيجة إصرارهم على حصر النص القرآني في قالب ما تقرره النظريات العلمية وما يستجد من المكتشفات الكونية.

٤- وعند قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤]، قال: «وفي الآية إشارة إلى أمرين: أحدهما: يدل على الإخبار بغيب وهو أن من الحجارة ما هو قابل لأن يكون وقودًا الآن، والآية وإن كانت مسوقة لتهويل أمر النار في الآخرة إلا أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون كثير مما في الآخرة له نموذج في الدنيا، ولما كان الأمر كذلك، وكانت الحجارة الفحميّة مخبوءة في خزائن الأسرار حين نزول القرآن إلى أن ظهرت تلك الإشارة إلى الوجود وأظهر لهم تعالى حجارة تقوم مقام الحطب في الاشتعال ليزدادوا يقينًا بوعده تعالى وعيده»[٢].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٠٣).

(٢) جواهر الأفكار (ص:١١٩).

٥- واحتج ابن بدران على منكري وجود الجن ببعض المكتشفات العلمية الحديثة فقال: «... ومخترعات عصرنا أبرزت مثل هذا للعيان لقوم يعقلون وذلك أن أجسامًا لطيفة تنفذ في المسام وتفعل مالا يقدر على فعله المئات من الناس، فهذه الكهرباء السارية في الوجود تسيّر السفن البرّية... إن الأطباء اليوم اكتشفوا لأسباب الأمراض سببًا يُقال له الجراثيم... فأي مانع حينئذٍ أن يخلق الله أجسامًا لا تُرى»[١].

٦- ربط الجاذبية الأرضية بقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد:٢].

حيث يقول: «وقوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ إشارة إلى الجاذبيّة لأنها لا تُرى فالأفلاك كلها المستقر منها والمتحرك إنما حصّل وظيفته بالجاذبيّة المخلوقة لله تعالى»[٢].

المبحث الثاني: مناقشاته لعلماء الهيئة والماديين:

لم يسلّم ابن بدران لعلماء الهيئة كثيرًا من اعتراضاتهم، بل ردَّ عليهم ردّ الخبير بعلوم الشرع والكون معًا، وبذلك فإنه سخَّر معرفته بالعلوم الكونية في الرد على مطاعن الطاعنين أيًّا كانوا ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة:٢٢]، قال: «وقد يُشكل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ وغيرها من الآيات المشابهة لها على بعض علماء الهيئة من جهة كونه يقتضي نزول المطر من السماء فيقول: الأمر ليس كذلك، لأن الأمطار إنما تتولّد من أبخرة ترتفع

(١) جواهر الأفكار (ص:١٥٧).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٢١٩).

من الأرض، وتتصاعد إلى الطبقة الباردة من الهواء، فتجتمع هناك بسبب البرد، ثم تتقاطر بعد اجتماعها وذلك هو المطر.

فيقال له: قد علمت مما سبق أن العرب تطلق السماء على كل ما سما، أي علا: وحيث إنه يصحّ إطلاق السماء على السحاب، والمطر ينزل منه فلا إشكال» ثم ذكر كلامًا آخر في الردّ على هؤلاء[١].

والمثال الثاني: عندما ردّ على علماء الهيئة في إنكارهم للأفلاك وقولهم بأن الأفلاك هي السماوات السبع، على أن ردّه في هذا الموضع كان محفوفًا بالمخاطر حيث إنه وصف العرش والكرسي بأنهما فلكان سيرًا على طريقة الفلاسفة في ذلك[٢].

المثال الثالث: عندما ردّ على الماديين القائلين بقدم المادة وتطورها بمرور الأزمان حيث قال: «ولم يزل مثل هذا الاختباط سائدًا إلى أن ظهر فن طبقات الأرض المسمى (بالجيولوجيا) فكشف لهم عن بطلان القول بقدم الأنواع، فرجع المتأخرون من الماديين عن ذلك القول إلى القول بالحدوث، ولكنهم صاروا بعد ذلك فريقين في كيفية كون الجراثيم النباتية والحيوانية...

هذا وما زال الرأي المادي ينمو تارة ويخبو تارة أخرى، وتنقلب عليه آراء جماعة كـ: (داروين) وغيره. وهو في الحقيقة لا ينسب إلى رأي معلوم، ولا إلى مذهب خاص لاختلاف آراء جماعته وناصريه... وقد استهزأ

(١) انظر جواهر الأفكار (ص:١٠٥- ١٠٦).
(٢) انظر جواهر الأفكار (١٥١- ١٥٢).

الطبيب المظفر بن معرف بهذه الطائفة فقال:

قالوا الطبيعة مبدأ الكون فيا ليت شعري ما هي الطبيعة؟
أقادرة طبعت نفسها على ذاك أم ليست بالمستطيعة؟

ونحن ننتظرهم حتى ينتقلوا من الخطأ إلى الصواب، وقد صار لهم ألوف من السنين وهم في اختباط، حتى قرنوا المادة بالقوة، وعساهم أن يهتدوا إلى الحق، فيجعلوا تلك القوة هي قدرة خالق الأكوان المبدع للمادة ولما يتآلف منها، فتكون فلسفتهم قد نجحت بعد أن حاروا ألوفًا من السنين»[(١)].

المبحث الثالث: عنايته بعلم الاجتماع:

اعتنى ابن بدران في تفسيره عناية كبيرة بعلم الاجتماع والعمران، وكان يستخلص من الآيات القرآنية بعض الفوائد الداعمة لهذا العلم ومن الأمثلة على ذلك:

١- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]، قال: «فعلى العاقل أن يتدبر أسرار هذا الموضع وما فيه من الإرشاد إلى علم الاجتماع ولا يقرأه قراءة من يقرأ القصص»[(٢)].

٢- عند قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٠٥]. قال ابن بدران: «والآية أيضًا تشير من الوجهة العمرانية إلى أنه يجب على المؤمنين أن

(١) جواهر الأفكار (ص:١٤٤- ١٤٦).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٧٨).

يعتمدوا على الله، ثم على أنفسهم في أسباب معاشهم، فيسابقون أهل الكتاب والمشركين إلى العلوم النافعة لهم، وإلى فنون الصنائع التي يظهرها الله على أيدي من يشاء آنًا فآنًا، حتى يبرزوا عليهم فلا يحتاجون إلى أعدائهم، لأنهم إذا تكاسلوا احتاجوا إليهم، فاختلطوا بهم، فأفسدوا عليهم أمر معاشهم، كما أفسدوا عليهم دينهم»[1].

٣- عند قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ...﴾ الآية [البقرة:١٣٦]، ذكر ابن بدران إشارة لطيفة فقال: «واعلم أن من يلاحظ حالة الحياة الاجتماعية العمومية اليوم، ويحصل له إلمام باشتباك المصالح التجارية ببعضها، ويعلم مقدار تأثير الروابط الاقتصادية بين الأمم في وجود الاتفاق والاتحاد بينها، يعلم تبعًا لذلك: أن ذلك التقرب سيكسر من شره التعصبات الدينية الذميمة، ويمحو من بينهم تلك الأحقاد الاعتقادية الموروثة، ولا يمكن للإنسان أن يتخيّل نقطة جامعة يرضى بها الكلّ على السواء إلا بتصديق كلّ أمة بأنبياء جارتها وبكتابها المنزل عليها، فما أبدع الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية»[2].

٤- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ...﴾ الآية [البقرة:١٦٤].

رأى ابن بدران أن هذه الآية أرشدت إلى النظر في عدة علوم:

---

(١) جواهر الأفكار (ص:٢٩٩).

(٢) جواهر الأفكار (ص:٣٦٠).

أحدها: علم الهيئة: الذي يبحث في العلويات.

وثانيها: فن المواليد الثلاثة، وفن طبقات الأرض.

وثالثها: فن الحيوان بأجمعه.

ورابعها: علم الأحوال الجوية.

ثم قال: «فهذه الفنون وما ينضم إليها مما هو تتمات لها، كالهندسة والحساب، المتعلقين بفن الهيئة، وما يتوصل به إلى غيرها، كلّها دلائل على أنه تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:١٦٣].

وأدرج تعالى في غضون ذلك فن الاجتماع البشرى المعبر عنه بعلم العمران، أو سياسة المدنية، أو المدنية، وذلك في قوله: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فأرشد تعالى إلى أن هذا من جملة الدلائل الدالة على وجوده، وإفراده بالوحدانية»[1].

* * *

(١) جواهر الأفكار (ص:٤٢١) وانظر ما قبلها.

الخاتمة

لا يسعني في ختام هذا البحث إلا أن أتوجه بالشكر الخالص لله تبارك وتعالى على تيسيره وإعانته، وأسأله سبحانه أن يغفر للشيخ: عبد القادر بن بدران ويجزيه خيرًا على جهوده في خدمة القرآن الكريم.

وجريًا على عادة الباحثين فإنني أثبت في هذه الخاتمة أبرز النتائج التي توصل لها هذا البحث من خلال النقاط التالية:

١ - اهتمام ابن بدران بتفسير القرآن بالقرآن مع عدم التزامه به في كل المواضع التي يمكن تفسير القرآن بالقرآن فيها.

وقد ركَّز في هذا المجال على تفسير الآية بذكر نظائرها، وبيان المجمل بما يدل عليه من الآيات، وتوضيح مفردة قرآنية بمفردة قرآنية أخرى.

٢- اعتنى ابن بدران بالقراءات واختلاف المعنى باختلافها، وأثر الاختلاف الإعرابي في المعنى، وكان يرى الترجيح بين القراءات أحيانًا.

٣- تميّز ابن بدران في مجال السنة النبويّة وقوته في علوم الحديث النبوي؛ وهو ما جعل تفسيره للقرآن وثيق الصلة بالسنة النبوية، حيث فسّر القرآن بها في الكثير من المواضع مع التزامه بذكر مصادر الأحاديث ورواتها ودرجتها من حيث الصحة أو الضعف في الغالب، كما ظهرت عنايته بتعدد الروايات واختلاف الألفاظ في الحديث الواحد، وأثر ذلك على التفسير، إضافةً إلى نقده للأسانيد وكلامه في الرجال جرحًا وتعديلًا، ومع ذلك فقد فاته أن يفسِّر القرآن بالسنة الصحيحة في بعض المواضع القليلة من تفسيره.

٤- لم يُكثر ابن بدران من ذكر أسباب النزول، واقتصر على ما يراه صحيح الإسناد منها مع قبوله أحيانًا للروايات التي لا شطط فيها ولا تناقض، وقد نزلت عن رتبة الصحيح، وعند تعدد الروايات في أسباب النزول كان يلجأ للترجيح بينها، كما طبَّق قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في الكثير من المواضع.

٥- رفض ابن بدران للإسرائيليات وعدم اعتداده بها لعدم ثبوتها من جهة، ولكثرة المبالغات والغرائب فيها، مع استخدامه للمنهج التاريخي والمنهج العقلي في ردِّها أحيانًا.

٦- يؤكد ابن بدران أهمية الرجوع إلى ما صحَّ من كلام الصحابة، ولكن من الناحية العملية فقد تعامل مع أقوال الصحابة كسائر الأقوال، فلم يدرس أسانيدها ولم يبين الصحيح منها أو الضعيف، وقد أظهر اهتمامًا بإيراد أقوال الصحابة والتابعين، وبالجمع أو الترجيح بينها في بعض المواضع مع ردِّه لبعض الروايات المكذوبة على الصحابة المخالفة للعقل ولا سيما المتلقاة عن أهل الكتاب.

٧- كان للغة وعلومها حضور واضح في تفسير ابن بدران إذ لا تخلو آية من تناول بعض القضايا اللغوية والنحوية والبلاغية مع قدرة واضحة في هذا المجال، وعناية كبيرة ببيان المفردات القرآنية والأصول الاشتقاقية، وتفسير الآيات وفق المعاني اللغويّة، والعناية بالإعراب لما لاختلافه من أثر في اختلاف المعنى، والاهتمام بالرجوع لأقوال أئمة اللغة في هذه المسائل، ويُلاحظ قلة اهتمامه بالشعر والفروق اللغوية في تفسيره.

٨- اهتم ابن بدران بإبراز الجوانب البلاغيّة في القرآن باعتبارها ضربًا من ضروب الإعجاز فيه، فتكلم عن الأمثال في القرآن والكناية والالتفات والاستعارة والاتساع واللفّ والتكرار والترصيع والحذف والطباق والمجاز والتهويل وغيرها، وقد وفق في ذلك إلى حدٍّ بعيد.

٩- أظهر ابن بدران عناية خاصة بعلم المناسبات، وأكّد على أن لكل آية نوع مناسبة لما قبلها وما بعدها في جميع القرآن، وقد تكلف في بعض المواضع في إظهار المناسبات بين الآيات.

١٠- على الرغم من كون ابن بدران حنبلي المذهب إلا أنه كان يمقت التقليد ويشنّع على أهله، ويدعو إلى اتباع الدليل. ولذلك فقد رجّح أقوالًا فقهية تخالف مذهب الإمام أحمد بن حنبل في مواضع يسيرة من تفسيره، كما ظهر تبحره الشديد في الفقه وأصوله من خلال تفسيره لآيات الأحكام، وحكايته لأقوال فقهاء المذاهب وترجيحه بينها، ونقد أدلتها وتعرضه لبعض مسائل أصول الفقه مثل نسخ القرآن بالسنة، والإجماع، والاجتهاد، والتكليف بالظن، وهل الأصل في الأشياء الإباحة أم الحظر، وترتب الحكم على وصفٍ مشعرٍ بالعلية.

١١- لم يتعرض ابن بدران إلا لمجموعة قليلة من مسائل العقيدة، ومع ذلك فقد ظهر من خلالها سلامة معتقده ونصرته عقيدة السلف الصالح في الإيمان ومسائل توحيد الألوهيّة والأسماء والصفات، وإن كان أحيانًا ينقل عن المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة، وقد يذكر قول أهل السنة والجماعة في إحدى المسائل بإزاء أقوال أهل البدع، ثم لا ينصره

ولا يبيّن الحق من الباطل كما فعل في مسألة حكم مرتكب الكبيرة، وقد ظهر من خلال تفسيره علمه بعقائد أهل الضلال في عصره كالاشتراكيين وغلاة المتصوفة،وبيانه الدقيق للأساليب التي يستخدمونها.

١٢- من الواضح أن ابن بدران من المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن الكريم، وقد أكثر من استخدامه لكنه لم يتكلف فيه، ولم يجزم أنه هو الصواب الذي تدل الآية عليه. وقد أحسن في هذا الباب وسَلِم من كثير من الأخطاء التي وقع فيها مؤيدو التفسير العلمي في عصره،كما أنه ناقش وبتمكنٍ علماء الفلك والجغرافيا والماديين الذين يقولون بالنشوء والارتقاء في مواضع متعددة من تفسيره.

وقد أظهر ابن بدران عناية خاصة بعلم الاجتماع والعمران، واستخلص من الآيات القرآنية بعض الفوائد الداعمة لهذا العلم.

١٣- وأخيرًا: فقد كشف هذا البحث عن الجانب التفسيري في شخصيّة الشيخ عبد القادر بن بدران، وألقى الضوء على جهوده في مجال التفسير، وحاول رسم صورة لمنهجه في تفسير كتاب الله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

المصادر والمراجع

١- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ـ تحقيق: عواد المعتق ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢- الإجماع في التفسير ـ محمد عبد العزيز الخضيري ـ الرياض ـ دار الوطن ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣- الإحكام ـ أبو الحسن علي بن محمد الآمدي ـ تحقيق: د. سيد الجميلي ـ بيروت ـ دار الكتب العربي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٤- أحوال الرجال ـ أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ـ تحقيق: صبحي السامرائي ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٥- أسباب النزول ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ـ تخريج عصام بن عبد المحسن الحميدان ـ الدمام ـ دار الإصلاح ـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٦- الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

٧- أعلام الأدب والفن ـ أدهم آل جندي ـ دمشق ـ سنة ١٩٥٤-١٩٥٨م.

٨- أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر ـ محمد

جميل الشطي ـ بيروت ـ المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٩- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ـ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١١- الإيمان ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ـ بيروت ـ المكتب الإسلامي ـ ١٤٠٦هـ.

١٢- البحر المحيط ـ أبو حيان محمد بن يوسف ـ تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين- بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٣- البدرانية شرح المنظومة الفارضية ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ المكتبة السلفية ـ دمشق ١٣٤٢هـ.

١٤- بيان تلبيس الجهمية ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ـ بدون ناشر.

١٥- التاريخ الصغير ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق: محمود إبراهيم زايد ـ حلب، القاهرة ـ دار الوعي، مكتبة التراث ـ الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٦- التاريخ الكبير ـ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ـ تحقيق: السيد هاشم الندوي ـ دار الفكر.

١٧- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ـ محمد مطيع، ونزار أباظة الحافظ ـ تقديم الدكتور شكري فيصل ـ دمشق ـ دار الفكر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٨- تاريخ معرة النعمان ـ محمد سليم الجندي ـ حققه وعلق عليه عمر رضا كحاله ـ إصدارات وزارة الثقافة بسوريا ـ الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ-١٩٦٢م.

١٩- تعليق على لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ مطبعة الترقي ـ دمشق ـ ١٣٣٨هـ.

٢٠- تفسير القرآن العظيم ـ عماد الدين بن كثير ـ القاهرة، دار الحديث ـ الطبعة الثانية ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢١- تفسير مجاهد ـ مجاهد بن جبر ـ تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل ـ مصر ـ دار الفكر الإسلامي ـ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٢٢- تقريب التهذيب ـ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ـ تحقيق: محمد عوامة ـ سوريا ـ دار الرشيد ـ الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٣- التلخيص في القراءات الثمان ـ أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري ـ دراسة وتحقيق: محمد حسن عقيل موسى ـ بدون ناشر ـ

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-١٩٩٢م.

٢٤- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ.

٢٥- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ـ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ـ بيروت ـ المكتب الإسلامي ـ الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٢هـ.

٢٦- جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ محمد بن جرير الطبري ـ تحقيق: محمود محمد شاكر. مصر. دار المعارف. بدون تاريخ.

٢٧- جمهرة اللغة ـ أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي المعروف بابن دريد ـ مصر ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ بدون تاريخ.

٢٨- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ـ شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ـ تحقيق: د. السيد الجميلي ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٩- حاشية على أخصر المختصرات للبلباني ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ تحقيق: محمد ناصر العجمي ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٣٠- حجة القراءات ـ أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣١- الحجة في علل القراءات السبع ـ أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي ـ

تحقيق: علي ناصف وزميليه ـ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٢- حجية الإجماع وموقف العلماء منه ـ عبد الغني محمد عبد الخالق ـ دار الكتاب الجامعي ـ ١٣٩١هـ.

٣٣- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ـ عبد الرزاق حسن البيطار ـ تحقيق: محمد بهجة البيطار ـ بيروت ـ دار صادر ـ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٣٤- درء تعارض العقل والنقل ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق: د. محمد رشاد سالم ـ الرياض ـ مطبوعات جامعة الإمام محمد ابن سعود ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٣٥- دراسات في علوم القرآن ـ فهد بن عبد العزيز الرومي ـ الرياض ـ المكتبة العبيكان.

٣٦- درة الغواص في حكم الذكاة بالرصاص ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ تحقيق: محمد ناصر العجمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ الكويت ١٤١٧هـ.

٣٧- الرسالة ـ محمد بن إدريس الشافعي ـ تحقيق: أحمد شاكر ـ القاهرة ـ دار التراث ـ سنة ١٣٩٩هـ.

٣٨- الرسالة التدمرية ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق: محمد بن عودة السعوي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-

١٩٨٥م بدون ناشر.

٣٩- روضة الأرواح ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ تحقيق: محمد ناصر العجمي ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ـ الكويت ـ ١٤١٧هـ.

٤٠- زاد المسير في علم التفسير ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ بيروت ـ المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٤١- زاد المعاد في هدي خير العباد ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤٢- السنة ـ أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ـ تحقيق: سالم أحمد السلفي ـ بيروت ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٣- سنن ابن ماجة ـ محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ ١٣٩٥هـ.

٤٤- سنن أبي داود ـ سليمان بن الأشعث السجستاني ـ إعداد وتعليق عزت الدعاس وعادل السيد ـ بيروت ـ دار الحديث للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

٤٥- سنن الترمذي ـ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٧م.

٤٦- سنن الدارقطني ـ علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني ـ تحقيق: السيد عبدالله هاشم المدني ـ بيروت ـ دار المعرفة ـ ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٤٧- السنن الكبرى ـ أحمد بن شعيب النسائي ـ تحقيق: د. عبد الغفار البنداري ـ سيد كسروي حسن ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٤٨- السنن الكبرى ـ أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي ـ تحقيق: محمد عبد القادر عطا ـ مكة ـ دار الباز ـ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٤٩- سنن النسائي ـ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ـ بيروت ـ دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ.

٥٠- سنن سعيد بن منصور ـ سعيد بن منصور ـ تحقيق: د. سعد بن عبد الله آل حميد ـ الرياض ـ دار الصميعي ـ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٥١- سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٥٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ أبو القاسم اللالكائي ـ تحقيق: أحمد سعد حمدان ـ الرياض ـ دار طيبة ـ الطبعة الأولى.

٥٣- شرح العقيدة الطحاوية ـ علي بن علي بن محمد بن أبي العز ـ تحقيق: د. عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط ـ الرياض ـ دار عالم الكتب ـ الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥٤- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ محمد بن صالح بن عثيمين ـ تحقيق: سعد بن فواز الصميل ـ الدمام ـ دار ابن الجوزي ـ الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٥٥- شرح المعلقات السبع ـ أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ـ مصر ـ المكتبة التجارية.

٥٦- شرح مقدمة التفسير ـ محمد بن صالح بن عثيمين ـ قدَّم له ورتبه د. عبد الله ابن محمد الطيار ـ السعودية ـ دار الوطن ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٧- شرح منتهى الإرادات ـ منصور البهوتي ـ الرياض ـ مطبوعات دار الإفتاء.

٥٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ـ القاهرة ـ دار التراث.

٥٩- صحيح ابن حبان- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ـ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦٠- صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ القاهرة ـ المكتبة السلفية ـ الطبعة الثالثة.

٦١- صحيح مسلم ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج ـ تحقيق: محمد فؤاد

عبد الباقي ـ القاهرة ـ دار الحديث ـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٦٢- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ـ تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله ـ الرياض ـ دار العاصمة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٣- الضعفاء والمتروكين ـ أحمد بن شعيب النسائي ـ تحقيق: محمود إبراهيم زايد ـ حلب ـ دار الوعي ـ الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.

٦٤- الضعفاء والمتروكين ـ عبد الرحمن بن علي بن محمد أبوالفرح بن الجوزي ـ تحقيق: عبد الله القاضي ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٥- العجاب في بيان الأسباب ـ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ـ تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس ـ الدمام ـ دار ابن الجوزي ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦٦- العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ تحقيق: د. عبد الستار أبو غدة ـ طبعة جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية ـ الكويت ـ ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

٦٧- علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره ـ محمد ناصر العجمي ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٨- العلل ـ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ـ تحقيق: محب الدين الخطيب ـ بيروت ـ دار المعرفة ـ ١٤٠٥هـ.

٦٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود ـ أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٧٠- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ـ أبو العلاء الحسن بن أحمد ابن الحسن الهمذاني العطار ـ تحقيق: د. أشرف محمد فؤاد ـ مصر ـ مكتبة التوعية الإسلامية ـ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧١- فتح القدير ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ مكة المكرمة ـ المكتبة التجارية ـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٧٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ علّق عليه وراجع حواشيه عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ بيروت ـ دار الخير ـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٧٣- الفريدة اللؤلؤية في العقود الياقوتية ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ طبعة جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية ـ الكويت ـ ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

٧٤- القاموس المحيط ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٥- الكامل في ضعفاء الرجال ـ عبد الله بن عدي أبو أحمد الجرجاني ـ تحقيق: يحيى مختار غزاوي ـ بيروت ـ دار الفكر ـ الطبعة الثالثة

١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٧٦- كتاب الإيمان ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٧٧- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ـ محمد بن عبد الوهاب ـ الرياض ـ دار المغني ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ محمود بن عمر الزمخشري ـ صححه مصطفى حسين أحمد ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٧٩- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب ـ تحقيق: د. محيي الدين رمضان ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٨٠- كفاية المرتقي إلى معرفة فرائض الخرقي ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ طبع في دمشق سنة ١٣٤٢هـ.

٨١- الكواكب الدرية في تاريخ عبد الرحمن اليوسف صدر سورية ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ مطبعة الفيحاء ـ دمشق ـ ١٣٣٩هـ.

٨٢- لسان العرب ـ أبو الفضل جمال الدين بن منظور ـ بيروت ـ دار صادر ـ بدون تاريخ.

٨٣- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة ضمن مجموع بعناية بدر البدر ـ الكويت ـ دار ابن الأثير ـ

الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٨٤- المبسوط في القراءات العشر ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ـ تحقيق: سبيع حمزة حاكمي ـ السعودية وسورية ـ دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٥- مجمع الزوائد ـ علي بن أبي بكر الهيثمي ـ بيروت، القاهرة ـ دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي ـ ١٤٠٧هـ.

٨٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ـ الرياض ـ دار عالم الكتب ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٨٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ـ أبو الفتح عثمان ابن جني ـ تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين ـ دار سزكين للنشر ـ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٨٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ـ تحقيق: المجلس العلمي بفاس، القاهرة. دار الكتاب الإسلامي ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٨٩- مختصر طبقات الحنابلة ـ محمد جميل بن عمر بن شطي ـ دراسة فواز أحمد زمرلي ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٩٠- مختصر منادمة الأطلال ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ تحقيق: بسام

الجابي.

٩١- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ عبد القادر بن أحمد بن بدران ـ تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠١هـ.

٩٢- المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ـ تحقيق: مصطفى عطا ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٩٣- المستصفى من علم الأصول ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ـ تحقيق: د. محمد سليمان الأشقر ـ الرياض ـ دار الوطن ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٩٤- المسند ـ أبو عبدالله أحمد بن حنبل ـ بيروت ـ المكتب الإسلامي- الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.

٩٥- مسند أبي داود الطيالسي ـ سليمان بن داود البصري الطيالسي ـ بيروت ـ دار المعرفة.

٩٦- مسند الشاميين ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق: حمدي السلفي ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٩٧- المصنف ـ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ـ تحقيق: كمال يوسف الحوت ـ الرياض ـ مكتبة الرشد ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٩٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ـ حافظ أحمد الحكمي ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٩٩- معاني القرآن ـ الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ـ دراسة وتحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد ـ بيروت ـ عالم الكتب ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٠٠-معاني القرآن ـ زياد بن منصور الديلمي أبو زكريا الفراء ـ تحقيق: أحمد يوسف ومحمد علي النجار ـ بيروت ـ دار السرور بدون تاريخ.

١٠١-معاني القرآن ـ علي بن حمزة الكسائي ـ تحقيق: عيسى شحاتة عيسى ـ القاهرة دار قباء ـ ١٩٩٨م.

١٠٢-معاني القرآن وإعرابه ـ الزجاج ـ تحقيق: د. عبد الجليل شلبي ـ بيروت ـ المكتبة العصرية.

١٠٣-المعجم الأوسط ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني ـ القاهرة ـ دار الحرمين ـ ١٤١٥هـ.

١٠٤-المعجم الكبير ـ سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني ـ تحقيق: حمدي السلفي ـ الموصل ـ مكتبة العلوم والحِكم ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

١٠٥-المغني في الضعفاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ تحقيق: نور

الدين عتر ـ بدون ناشر.

١٠٦-مفاتيح الغيب ـ فخر الدين الرازي ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٠٧-مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الأصفهاني ـ تحقيق: صفوان عدنان داوودي ـ دمشق وبيروت ـ دار القلم والدار الشامية ـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٠٨-المقتنى في سرد الكنى ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ تحقيق: محمد صالح المراد ـ المدينة المنورة ـ مطابع الجامعة الإسلامية ـ ١٤٠٨هـ.

١٠٩-من تكلم فيه ـ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: محمد شكور ـ الزرقاء ـ مكتبة المنار ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١١٠-منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ـعبد القادر بن أحمد بن بدران ـ تقديم محمد بهجة البيطار وإشراف زهير الشاويش ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

١١١-المنتخب من مسند عبد بن حميد ـ أبومحمد عبد بن حميد ـ تحقيق: صبحي السامرائي ومحمود خليل الصعيدي ـ بيروت ـ عالم الكتب ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١١٢-منتخبات التواريخ لدمشق ـ محمد أديب تقي الدين الحصي ـ دمشق.

١١٣-منهاج السنة النبوية ـ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن

تيمية ـ تحقيق: د. محمد رشاد سالم ـ القاهرة ـ مؤسسة قرطبة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١١٤-نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة ـ عبد القادر ابن أحمد بن بدران ـ المطبعة السلفية ـ مصر ـ سنة ١٣٤٢هـ.

١١٥-النشر في القراءات العشر ـ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجذري ـ أشرف عليه علي محمد الضباع ـ بيروت ـ دار الكتاب العربي ـ بدون تاريخ.

١١٦-النهاية في غريب الحديث والأثر ـ مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير ـ تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزواوي ـ بيروت ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية.

***

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ٣
بين يدي البحث ١١
أولًا: لمحة موجزة عن ابن بدران ١١
ثانيًا: تعريف مختصر بتفسير ابن بدران ١٢
ثالثًا: كثرة مصادره وتنوعها ١٣
الباب الأول: التفسير بالمأثور عند ابن بدران ١٥
- **الفصل الأول:** تفسير القرآن بالقرآن ١٧
تمهيد ١٧
المبحث الأول: تفسير الآية بذكر نظائرها ٢٤
المبحث الثاني: بيان المجمل بذكر ما يدل عليه من الآيات .. ٢٥
المبحث الثالث: تخصيص العام بذكر ما يدل عليه من الآيات ٢٨
المبحث الرابع: توضيح معاني مفردات القرآن من القرآن .. ٢٨
- **الفصل الثاني:** القراءات في تفسير ابن بدران ٣٢
تمهيد ٣٢
المبحث الأول: الإشارة إلى اختلاف المعنى باختلاف القراءة . ٣٣
المبحث الثاني: التوجيه الإعرابي للقراءة وأثره في المعنى ٣٥

المبحث الثالث: الترجيح بين القراءات..... ٣٨
المبحث الرابع: عدم ذكر أي أثر لاختلاف القراءات ٤٠
الفصل الثالث: السنة النبوية في تفسير ابن بدران ٤٢
تمهيد..... ٤٢
المبحث الأول: تفسير القرآن بالسنة..... ٤٣
المبحث الثاني: الاستشهاد بالحديث على توضيح معنى الآية
أو تأكيده..... ٤٧
المبحث الثالث: مميزات منهج ابن بدران في العناية بالسنة.. ٥٢
أولًا: اعتداده بالحديث والسنة الصحيحة ٥٢
ثانيًا: ذكر مصادر الأحاديث ورواتها..... ٥٣
ثالثًا: الاستشهاد بما يصح من الأحاديث ٥٣
رابعًا: عنايته بتعدد الروايات واختلاف الألفاظ..... ٥٤
خامسًا: عنايته بالجرح والتعديل والحكم على الأحاديث... ٥٥
المبحث الرابع: مآخذ على ابن بدران في الحديث ٥٨
أولًا: إيراده بعض الأحاديث دون الإشارة إلى مصادرها من
كتب السنة ٥٨
ثانيًا: عدم تفسير القرآن بالسنة في مواضع مهمة ٥٨

ثالثًا: طعنه على عكرمة مولى ابن عباس ٦٠

- **الفصل الرابع**: أسباب النزول في تفسير ابن بدران ٦١

تمهيد ٦١

المبحث الأول: الاعتماد على الصحيح من الروايات وترك سواها ٦٢

المبحث الثاني: قبول الروايات التي لا شطط فيها ولا تناقض ٦٤

المبحث الثالث: الترجيح عند تعدد الروايات في أسباب النزول ٦٦

المبحث الرابع: تطبيق قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ٧٠

- **الفصل الخامس**: موقف ابن بدران من الإسرائيليات ٧٣

تمهيد ٧٣

المبحث الأول: رده بعض الأخبار لعدم ثبوتها..... ٧٤

المبحث الثاني: استخدامه المنهج العقلي والتاريخي في رد الإسرائيليات ٧٦

- **الفصل السادس**: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين عند ابن بدران..... ٨٠

تمهيد ٨٠
أولًا: تفسير القرآن بأقوال الصحابة عند ابن بدران..... ٨٠
ثانيًا: تفسير القرآن بأقوال التابعين ٨١
المبحث الأول: ذكر اختلاف الأقوال مع الجمع بينها أو
الترجيح بينها غالبًا ٨٢
المبحث الثاني: ذكر اختلاف الأقوال مع اختيار قول آخر .. ٨٥
المبحث الثالث: ذكر اختلاف الأقوال دون ترجيح ٨٦
المبحث الرابع: رد الروايات المكذوبة على الصحابة المخالفة
للعقل والمتلقاة عن أهل الكتاب ٨٧
المبحث الخامس: رد بعض أقوال التابعين في التفسير ٨٩
الباب الثاني: التفسير بالرأي عند ابن بدران..... ٩١
- **الفصل الأول:** اللغة في تفسير ابن بدران ٩٣
تمهيد..... ٩٣
المبحث الأول: بيانه للمفردات القرآنية ٩٤
المبحث الثاني: تفسيره للآية وفقًا للمعاني اللغوية..... ٩٥
المبحث الثالث: الرجوع إلى أقوال أئمة اللغة ٩٨
المبحث الرابع: عنايته بالفروق اللغوية ١٠٠

المبحث الخامس: عنايته بالأصول اللغوية والاشتقاق ١٠١
المبحث السادس: عنايته بالإعراب ١٠٢
المبحث السابع: عنايته بالبلاغة ١٠٦
المبحث الثامن: عنايته بالشعر ١١١
المبحث التاسع: عنايته بالمناسبات ١١٣
■ **الفصل الثاني:** مسائل الفقه في تفسير ابن بدران ١١٦
تمهيد ١١٦
المبحث الأول: حملة ابن بدران على المقلدة ١١٧
المبحث الثاني: ترجيحه بين أقوال الفقهاء ١١٩
١ - اعتماده ما صحَّ دليله من الأقوال ١٢٠
٢ - اعتماد ظاهر النصوص بشرط عدم وجود معارض ١٢٢
المبحث الثالث: اهتمامه بأقوال الفقهاء ١٢٥
المبحث الرابع: عنايته بأصول الفقه ١٢٧
■ **الفصل الثالث:** مسائل العقيدة في تفسير ابن بدران ١٣٢
تمهيد ١٣٢
المبحث الأول: نصرته مذهب السلف في الإيمان ١٣٤
المبحث الثاني: كلامه في توحيد الألوهية ١٣٥

المبحث الثالث: كلامه في الأسماء والصفات ١٣٩
المبحث الرابع: بعض المآخذ العقدية على تفسيره ١٤١
المبحث الخامس: علمه بعقائد أهل الضلال في عصره ١٤٥
■ **الفصل الرابع**: التفسير العلمي عند ابن بدران..... ١٤٨
المبحث الأول: موقف ابن بدران من التفسير العلمي..... ١٤٨
المبحث الثاني: مناقشاته لعلماء الهيئة والماديين..... ١٥٢
المبحث الثالث: عنايته بعلم الاجتماع ١٥٤
الخاتمة..... ١٥٧
فهرس المصادر والمراجع..... ١٦١
فهرس الموضوعات ١٧٧

***